الدكتور
عبد المجيد القصّاب

لمحات دِبلوماسيّة

مطبعة دار الكُتب
بيروت - لبنان

لمحات دبلوماسية

لمحات دبلوماسية

للطبيب الدكتور
عبد المجيد القصاب

مطبعة دار الكتب
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى
١٩٨٠ م



صورة المؤلف

الإهداء

إلى الصديق الوفي والعالم الجهبذ والدبلوماسي العربي البارع سيادة سفير الجمهورية التونسية في المملكة الأردنية الهاشمية الاستاذ محمد الحبيب عباس أقدم هذا الكتاب مع التقدير وفائق الاحترام

المؤلف

مقـدّمـة

بقلم الأستاذ الجليل والاديب الكبير المعروف جعفر الخليلي

لمحات دبلوماسية

— ١ —

صحيح ان للدبلوماسية قواعد ، وأصولاً ، وأنظمة خاصة تكاد تعد اليوم علماً مستقلاً لا يمكن بدونه القيام بمقتضياتها التي أصبحت في هذا القرن ذات صور متشعبة لا تخلو من تعقيد، وذلك بسبب الأزمات والمفاجاءات العامة، والسياسية منها بصورة خاصية .

صحيح كل هذا ، ولكن ليس كل من أحاط بالدبلوماسية ، وقواعدها وأنظمتها يمكن أن يكون دبلوماسياً حتى ولا دبلوماسياً عادياً ، ذلك لأن اللياقة ، وملكة التمثيل الدبلوماسي ، وذلاقة اللسان ، وحسن التدبير ، ومراعاة مقتضى الحال ، وقابلية وضع الشيء في محله ، هو كل شيء في الدبلوماسية ومستلزماتها ، ثم تأتي بعده الاحاطة بالأنظمة والقواعد ، وما يفرض له ويفرض عليه كدبلوماسي يمثّل دولة لدى دولة أخرى تختلف صلاتها باختلاف المصالح الخاصة والعامة بين الدولتين ، فاذا ما تيسّرت هذه الملكة والقابلية صار على المهيأ للسلك الدبلوماسي أن يستوعب القواعد والأنظمة ، ويسترشد بما ترك الدبلوماسيون النابهون من أمثلة رائعة في وقت الأزمات ، والحوادث المفاجئة ،

لذلك وضعت هذه القواعد وما اتفق عليه في مراعاة الدول لها ، وطبعت كعلم لا تقتصر فوائده على الدبلوماسيين وحدهم ، وانما هو جانب تستدعي الثقافة العامة الاطلاع عليه ، والتعرف بقواعده ، وأصوله ، وعلى الأخص أساتذة القانون ، وطلاب الحقوق الذين يمرون في دروسهم بهذا الجانب .

ومن السارّ أن يكون الدكتور عبد المجيد القصاب ممن وضع لبنة في بناء هذا العلم بكتابه الذي سماه (بلمحات دبلوماسية) وما اللبنة هذه التي وضعها الدكتور القصاب ، والتي قد يكون السابق فيها غيره إلا الايغال في التاريخ الأبعد في الدبلوماسية ، وتعيين مكانة العرب منها بالمعنى الدبلوماسي ، قبل أن تكون معروفة بهذا الاسم ، وقبل أن توضع لها القواعد والأتكيت ، وقد أحسن في كتابه بضرب الأمثلة واستعراض الشواهد .

والذي يعرف الدكتور عبد المجيد القصاب طبيباً ، حاذقاً ، ومن ألمع الأطباء العراقيين لا يستغرب منه وضع كتاب في الدبلوماسية ، وآخر في (تاريخ الاقتصاد السياسي) و (مقارنة دستورية) حين يعرف بأن مثل هذه الموضوعات قد مرّت عليه وهو طالب حقوق ، كما مكنته ثقافته العامة من تأليف كتب أخرى ، سواء كانت لها علاقة بالطب ككتاب (الغازات السامة والوقاية منها ومن الغارات الجوية) الذي أهداه لجمعية الهلال الأحمر ببغداد ، وكتاب (التطور الصحي في العراق) أو الكتب التاريخية ، والاجتماعية (كرحلة الربيع إلى العالم البديع) و (ألفا يوم ويوم في الولايات المتحدة الأميركية) و (أضواء على تاريخ تونس الخضراء) و (رحلة إلى تونس عتبة السلام) وقد قدم كتابه الأخير هذا إلى مدرسة أيتام (بورقيبة) على سبيل الهدية ، هذا بالاضافة إلى أطروحته التي طبعت بالفرنسية ، والتي نال بها شهادته الطبية في جامعة (مونبيليه) وبالاضافة إلى طائفة من المقالات المنشورة في الصحف والمجلات .

وبعد هذا فقد كان القصاب من ألمع نواب المعارضة في البرلمان العراقي ،

كما كان من ألمع الوزراء كوزير للصحة ، ووزير للمعارف (التربية) وكان له فضل السبق في اقتراح تأسيس جامعة بغداد ، إلى غير ذلك مما عرفه به العارفون ، طبيباً ، ومؤلفاً ، وخطيباً ، وانساناً قريباً من قلوب الناس ، حبيباً إلى نفوسهم ، وقد أحسن الأديب الشهير المرحوم فؤاد عباس في وصفه حين وجه الخطاب اليه في احدى المناسبات قائلاً :

وأنت أنت زينة الأقـــــران
وغــرّة في جبهة الزمـــــان
ومجمـــــع الأصحاب والخلان
وجوهــرَ الوفـــاء للاخـــوان
مـــــا غيّرتك رفعــة المكـــان
وعـــــزة الوزير في الديـــوان
على الأقــاصي وعــلى الأداني
بل كنت وقفــاً لبني الانسان
تطبـــب الجميـــــع بالمجـــان
حتى الدواء للفقــير العـــاني
تصرفه له بلا أثمان

— ٢ —

وماذا بعد عن بيت القصاب المفتوح بابه على مصراعيه للضيوف والزائرين في الكثير من الأيام ، وعلى الأخص في كل مساء جمعة من كل أسبوع إلى ما يقارب من منتصف الليل ، فالبيت عبارة عن مضيف ، ومنتدى في هذه الأمسية يحضره رهط من أهل الفضل ، والأدب ، والمعرفة ، وليس هنالك إلا القليل من الشخصيات العربية المقيمين في العراق من السفراء ، والخبراء ، ومن الزائرين من المارين ببغداد من الأعلام من لم يزر هذا البيت ، ومن لم يحتف به

الدكتور القصاب في دعوة عشاء ، أو وليمة غداء ، أو حفلة تكريم ، وقد عرف جمهور كبير من الأعلام العرب بيت القصاب ببغداد ، وأقيمت للكثير منهم حفلات التكريم ، وأنا أعرف الكثير منهم معرفة شخصية وتربطني بالبعض رابطة صداقة قد يعود تاريخها إلى نصف قرن وأكثر . وطالما جمعتني ببعضهم مائدة القصاب في بيته ، كان منهم ، عجاج نويهض ، وروكس بن زائد العزيزي ، والدكتور زكي مبارك ، وعزيز أباظة ، ومحمد علي الطاهر ، والزعيم علال الفاسي ، والدكتور عبد الهادي التازي ، وسليم الزركلي ، وكاظم الصلح ، وفخري البارودي ، ومن الذين أعرفهم على البعد ولم أتشرف بهم عن كثب كان أكرم زعيتر ، وكان فوزي القاوقجي وغيرهما الكثير ، ولقد صدق من وصف بيت القصاب قائلاً :

أعددت بيتك منتدى حتى اغتــدى
أسمى بيوت المجــد في بغــداد
فلطالما كرمت فيــه أولي النهـــى
وأضفت أمجــاداً إلى أمجـــاد

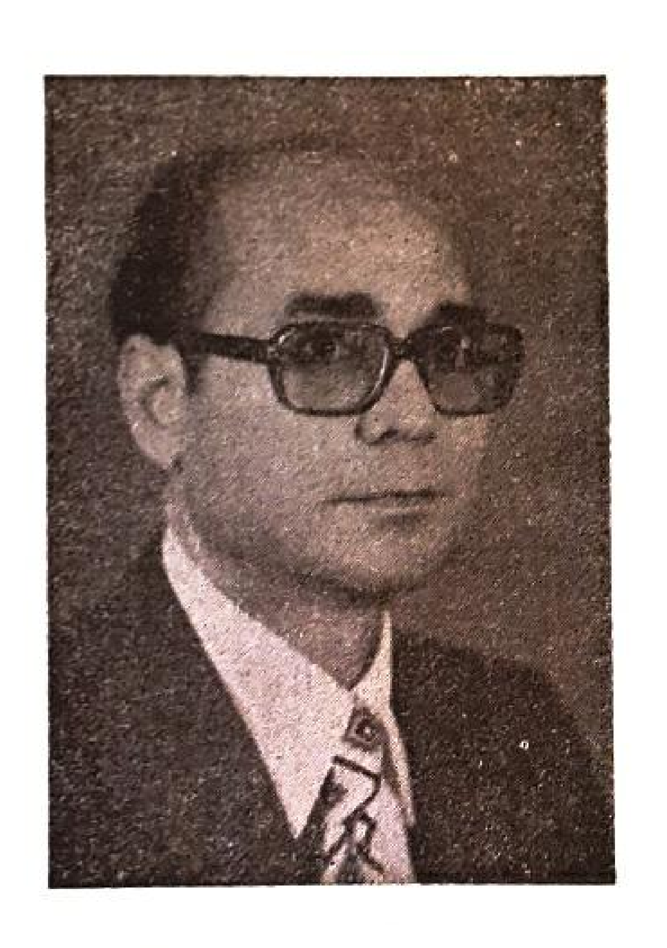
ومن الدبلوماسيين من أهل العلم ، والأدب ، والمعرفة كان الأستاذ الجليل محمد الحبيب عباس ، سفير تونس ببغداد ، والذي انتقل اليوم سفيراً لتونس في الأردن ، وهو من الدبلوماسيين القليلي النظير من حيث الأتكيت الدبلوماسي ، وقواعد الدبلوماسية ونهجها ، كما انه من كبار رجال العلم والأدب والثقافة ، وقد فتح باب السفارة لحملة ألوية الأدب ، وأهل المعرفة ، مثلما فتحه للوزراء والسفراء حتى لم يبق في بغداد من أهل الفضل من لا يعرف طريقه إلى مقر السفارة وبيت السفير ، وكم هو جميل أن يخلفه مروان بن العربي سفيراً لتونس فكانت سيرته ونهجه على غرار سيرة محمد الحبيب ونهجه دبلوماسية ، وأدباً ، ومعرفة .

وكان لا بد للدكتور عبد المجيد القصاب أن يُسمع محمد الحبيب عباس

وهو يزمع النية على الانتقال إلى الأردن ، أقول كان لا بد أن يُسمع محمد الحبيب صدى اعجاب الناس به هنا ، وحب العارفين بقدره ، وتعلقهم به كسفير سياسة وعلم ، وأدب ، ومعرفة ، فأقام له حفلة تكريم وداعية في هذا البيت ، وناب في الاعراب عن تعلق الناس به هنا بعض الأدباء مثلما فعل ، الدكتور القصاب نفسه في خطابه الذي جاء ذكره هنا في مقدمة هذه الرسالة وزيادة في الاعتزاز بهذا الدبلوماسي الأديب العالم طبع القصاب هذا الكتاب الذي سماه (بلمحات دبلوماسية) وقدمه هدية لهذا السفير الألمعي الأريب كرمز للذكريات الطيبة ، والأثر العميق الذي خلفه محمد الحبيب عباس في قلوب الناس .

وأنا أترك للقارىء تقدير قيمة هذا الكتاب من حيث مضمونه وجوهره فهو ــ أي الكتاب ــ أفصح مني في الاعراب عن مدى قيمته في مثل هذه البحوث ، شاكراً للدكتور القصاب ما يقوم به من الخدمات الخاصة والعامة في مختلف الميادين باسم الفضيلة ، وباسم العراق الحبيب

جعفر الخليلي
بغداد ــ كرادة مريم



مختصر تاريخ حياة
المهدى اليه الأستاذ
محمد الحبيب عباس

ولد في مدينة المنستير التونسية يوم ٢ نيسان (افريل) ١٩٣٣، نشأ في بيت علم ، تلقى تعليمه الابتدائي والقانوني في مسقط رأسه وفي العاصمة وتعليمه العالي في تونس وبيروت وباريس متخصصاً في الآداب والعربية والقانون . أحرز على الاجازة في الأداب ، والعالمية في القضاء ، وهو يعد أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع بباريس ، باشر التدريس في المعاهد التونسية فيما بين ١٩٥٤ ــ ١٩٥٩ ، عمل في الحقل الوطني والاجتماعي ، وأسهم في الحركة التحريرية . ثم التحق بوزارة الشؤون الخارجية وتدرج في المراتب الدبلوماسية إلى أن بلغ درجة وزير مفوض ، واختير سنة ١٩٧٦ سفيراً للجمهورية التونسية في الجمهورية العراقية وهو حالياً سفير تونس لدى المملكة الأردنية الهاشمية .

صورة خطباء وشعراء حفلة تكريم وتوديع المحتفى به والمهدى اليه هذا الكتاب

سيادة الاستاذ محمد الحبيب عباس سفير تونس الحبيبة ببغداد سابقاً وسفيرها في الاردن الحبيب اليوم



السادة مع حفظ الالقاب

الشيخ جلال الحنفي في الوسط والى يمينه سليم طه التكريتي والى يساره علاء الدين فؤاد

الواقفون عبد الرزاق بستانه في الوسط والى يمينه عبـــد الامير علوش وطالب فليح المدو والى يساره عبد الرزاق الجزار وحميد المحل .



وهذه صورة اخرى اخذت مساء الحفلة ٩٧٨/٧/٢٨ يشاهد فيها المحتفى به الاستاذ محمد الحبيب عباس الى يمين الشيخ جلال الحنفي والى جانبة السيد عبد الرزاق بستانه ثم صاحب الدعوة الدكتور القصاب

والى يسار الشيخ الحنفى يشاهد الشاعر طالب فليح المدو والشاعر عبد الامير علوّش ويشاهد الفنان السيد حميد المحل وهو الجالس الى يمين الصورة والى يساره الشاعر علي عبد الامير الحيدري .

خطاب الدكتور عبد المجيد القصاب

الذى بدأ به حفلة تكريم وتوديع صديقه سيادة الاستاذ الكبير محمد الحبيب عباس سفير الجمهورية التونسية الحبيبة في بغداد بعد نقله الى الاردن الحبيب مساء الجمعة الموافق ١٩٧٨/٧/٢٨ المصادف ٢٣ شعبان ١٣٩٨ ه .

بسم الله الرحمن الرحيم ، السلام عليكم وأهلاً بكم

أرق على أرق ومثلي يارق
وجوىً يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة أن أكون كما ترى
عين مسهدة وقلب يخفق
ما لاح برق أو ترنم طائر
الا انثنيت ولي فؤاد شيق
جرّبت من نار الهوى ما تنطفي
نارُ الغضى وتكفّ عما تُحرق
وعذلت أهل العشق حتّى ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق
فعذرتهم وعرفت ذنبي انني
عيرتهم فلقيت منه ما لقوا
أبني أبينا نحن أهل منازل
أبداً غرابُ البينِ فيها ينعق

نبكي على الدنيا ومـــا من معشر
جمعتهم الدنيا ولم يتفرّقـــوا

وهكذا أجاد شاعرنا المتنبي عندما أكد على الفراق بعد التلاق ، والتفرق بعد الاجتماع . وإن الفراق رزيّة من الرزايا القاصمة على الصديق (مجرد الصديق) فما قولُكم بفراق من كان صديقاً ورفيقاً وحبيباً كما هو الحال بالنسبة لي تجاه المحتفى به ؟ .

سادتي السفراء وأخواني الفضلاء .. اني أرحب بكم في داركم وأشكركم لقبولكم دعوتي وتشريفكم ندوتي التي تبدلت بفضلكم وبروحية المحتفى به من حفل وداع إلى ندوة تعارف راجتماع ولو كنت قادراً على تقديم أوسمة من الياقوت والمرجان وقلائد من الورد والريحان لقدمتها اليكم وأنتم أغلى بنظري من الياقوت والمرجان والورد والريحان وكان المتنبي قد قال عندما قدم قصيدته للأمير فاتك بن شجاع : —

لا خيل عندك تُهديها ولا مـــال
فليسعد النطق ان لم تُسعد الحال

أعود فأكرر ترحيبي بكم يا قمـــة أدباء بغـــداد وشعرائها وعلمائها ويا نخبة سفراء العروبة ورجالاتها من لبنان الجميل العنيف والكويت العزيزة والامارات العربية البديعة وقطر اللطيفة والسعودية الشريفة وموريتانيا العظيمة وعُمان الزاهية والجزائر المجاهدة والبحرين المنيفة والمغربُ البيضاء وتونس الخضراء .

وإني لأشعر أن أرواح آبائي وأجدادي ترفرف مزهوة هذا المساء في سماء هذا الاجتماع مفتخرة بكم معتزة بتشريفكم راضية عني لقيامي بالواجب لتوديع صديقي وصديقكم المحترم سيادة الأستاذ محمد الحبيب عباس سفير الجمهورية التونسية المكرم .

فواجب الصديق الوفاء لصديقه وانتهازِ الفرص للاعتزاز به وتكريمه في

الحل والترحال والتوديع والاستقبال وفي كل مقام ومجال .. وقد جاء ذكر الصديق في القرآن الكريم في مئة وثلاثين آيةً منها في سورة الشعراء وسورة النساء وسورة النور التي ساوى الله تعالى فيها بين الصديق وبين أقرب الناس للانسان في موضوع دخول المنازل وتناول الطعام فيها بدون سابق انذار وبمجرد الاستئذان والسلام . وأما في الانجيل فقد قال المسيح عليه السلام لتلميذه يشوع (أما الرب فينبغي أن تُحبَه من كل قلبك ثم تُحب قريبكَ كما تُحب نفسَك) فقيل له بيّن لنا يا روحَ الله ما بين هاتين المحبتين حتى نستعد لهما بتبصرةٍ وبيان . قال : (ان الصديقَ تُحبه لنفسك والنفسَ تُحبها لربّك فإذا صُنتَ صَديقَك فلنفسك تصون وإذا جُدت بنفسك فلربك تجود) .

ويقول أحد الصوفية : ما يقف البشر على بعد غور قوله تعالى لكليمه موسى عليه السلام (وألقيتُ عليك محبةً منّي ولِتُصْنَعَ على عيني) فان في هاتين الكلمتين ما لم يُبلغ كنهه ولا يُنال آخره ، ولو أن أرقَ الناسِ لساناً وألطفُهم بياناً أراد أن يتوسط حقيقة هذا القول لم يستطع ، وعاد حسيراً ، ونكصَ مبهوراً وبقي عاجزاً . اللهم حبب بعضنا إلى بعض واجمع شملنا إلى رضاك عنّا مع احسانِك الينا ، انك أهلٌ لذلك والجوادُ به . وجاء في القرآن الكريم (واتخذ الله ابراهيم خليلاً) . وكانت العلاقة بين الرسول الأعظم ﷺ وبين أبي بكر الصديق (رض) علاقةُ صداقةٍ يجب أن يُحتذى بها في كل زمان ومكان ،ويقول أرسطو (الصَديقُ هو أنتَ ولو أنه شخصٌ آخر غيرُك) .

تعرفنا على المحتفى به فعرفنا فيه العلمَ الغزير والثقافة العالية ، والأخلاق الفاضلة،والتواضعَ الجم،والكرم الحاتمي ، ولمسنا فيه الاخلاصَ في العمل ، والوفاء للأصدقاء ، والجد في أداء الواجبات ، واطلعنا على سعة معلوماته في مجريات الحوادث العالمية وتيارات السياسة العربية . وهو الخطيب المِصْقَع والشاعرُ الفَحل والكاتبُ النحرير والناقدُ القدير ، والمحقق الصبور اضافة إلى ذكاءمتوقد وتطورفي الحاسة الاجتماعية،حاسة اللّياقةِ واللّباقة والذوق السليم Common Sense — Good Sense — Bon Sens وحسن التصرف في المعاملات

بدهاء وحُنكة وحكمة . والتي بدونها لا نفع للمعلومات والذكاء والشهادات العالية والثقافة الممتازة . ولا غرو فانه الفتى العربي ابن القطر التونسي الذي انجب فيما أنجب ، محمد بن عرفة ، وراشد القفصي ، وابراهيم عبد الرفيع ، ومحمد بن هارون ، وعبد الله التّجاني ، وأحمد أبا العباس ، وأبا الفضل بن محمد والسيدة زينب التّجاني ، ومحمد بن عمر الملكيش ، ومحمد بن عبد الله الهواري ، واسحق بن حسينة ، وأحمد بن عبد الله الرصافي ، ومحمد بن راس الحملة ، والإمام محمد بن سحنون ، وابن رشيق وابنَ الجراح ، وابنَ خلدون ، وأسدَ بن فرات ، وعبد العزيز ابراهيم الثعالبي ، وعلي بن خليفة النفاتي ، وعلي عبد اللطيف ، وسعيد العبد اللطيف ، وعلي بو حاجب ، والمنصف المستيري ، ومحي الدين القليبيّ ، والشاذلي الخلاّدي ، وخير الدين باشا ، ومحمد المنصف باي ، وأحمد باشا المشير ، وعلي البهلوان ، والحبيب ثامر ، والهادي شاكر ، وفرحات حشاد ، والهادي نويرة ، وزعيم التحرر والانعتاق الرئيس الزعيم الحبيب بورقيبة بطل الاستقلال حرسه الله وأبقاه .

أما عن نشاطه الدبلوماسي اجتماعياً فانه بالإضافة إلى واجباته الرسمية الاعتيادية خصص حفظه الله قسطاً من وقته الثمين لزيارة أدباء العراق وعلمائه وشعرائه ومثقفيه للتعرف عليهم وتعريفهم بالنهضة التونسية الحديثة والاطلاع بالمقابل على النهضة العراقية وعلى شعورهم نحو تونس الحبيبة فسُر غايةَ السرور بلقائهم سُعِدوا غاية السعادة بلقائه وأعجبوا بالمعلومات اللغوية والأدبية والصرفية والنحوية والعلوم الدينية، والشؤون التربوية التي يضطلع بها ويجيدها تمام الإجادة وصاروا كلما سبروا غوره وجدوه بحراً عذباً بارداً رقراقاً يتدفق علماً وأخلاقاً . وأما من حيث القوة والمنعة فانهم وجدوه كالذهب الابريز كلما لوّحته النار ازداد قيمة وقوة وصفاءاً وبريقاً وهّاجاً ، والحق فانه باتصالاته الشريفة بمختلف طبقات الشعب الواعية المخلصة لبلادها ضرب مثلاً عالياً في الواجبات الدبلوماسية العربية وكيف يجب أن تسلك في وضع مثل وضع العرب الحاضر

متجاوزة الطوقَ الذي طوقته به مؤلفات القانون الدولي بتحديد عمــل الدبلوماسيين في نطاق الروتين الحكومي على غرار ما جاء في كتاب الحقوق الدولية للأستاذ جورج سيل الافرنسي والحقوق الدولية للأستاذ سافيولي الايطالي ، والحقوق الجنائية للأستاذ دونديه دوفابر الافرنسي والكتاب السنوي الانكليزي للدبلوماسية والقانون لنخبة من المؤلفين الانكليز كما ساهم في هذه الفكرة المحدودة المؤلفون المصريون العرب الأساتذة : علي ماهر وأبو هيف ، ومحمود سامي جنينة ، ناسين الفرق الشاسع بين مميزات السلك الدبلوماسي الأجنبي الذي يعمل في البلاد العربية ومثيله العربي فيها لأن العرب أحوج ما يكونون الآن (وقد تكالبت عليهم قوى الصهيونية والاستعمار الجديد) إلى تعارفهم وتوادّهم وتمتين أواصر المحبة بينهم للسير في طريق الوحدة المنشودة بعد أن منعهم الاستعمار القديم من الاتصال بعضَهم ببعض خلال حِقبة طويلة من الزمان وبذلك أثبت الدبلوماسيون العرب على أصالة دبلوماسيتهم وأبعادها الخلفية وجذورها المتغلغلة في أعماق التاريخ ، وها هم قد أبدعوا وبدّعوا وتألّقوا في فنون الدبلوماسية الحديثة ونجحوا فيها نجاحاً منقطعَ النظير كما نجحوا في ماضيات الأيام عندما كانوا يسيرون فينتقلون من فتح إلى فتح ومن نصر إلى نصر ليس من أجل استعمار الشعوب واستغلال الناس ونهب خيراتهم بل للقضاء على العبودية ونشر العدل والمساواة والسلام .

أجل هكذا أثبتت الدبلوماسية العربية الحديثة أصالتها التاريخية العريقة فترأست جلسات هيئة الأمم والمنظمات واللجان الفرعية التابعة لها عن جدارة وكفاية واستحقاق . ومن الدبلوماسيين العرب من نسمع عنهم أخباراً تُثلج الصدور وتُقر العيون بخصوص تصرفاتهم في المنظمة العالمية الرئيسية والهيئات التابعة لها ولجانها الفرعية الثقافية والفنيّة والصحية والاقتصادية والقانونيــة والانسانية وفي مداولات شؤون النفط العالمية وهذا كله يفند الفكرة السائدة بين مؤرخي الافرنج ومن تبعهم من العرب بطريق العدوى من أن الرومان واليونان أول من عرف الدبلوماسية وتبادل التمثيل الدبلوماسي وذلك لأنهما أول من

عرف تأسيس الدول واحتياجها إلى ذلك التمثيل على حد قولهم متجاهلين تاريخ الدول الحضارية التي تألفت عندنا في الشرق العربي وتبادلت الوفود فيما بينها يوم كانت أوربا تغط في سبات عميق وتتخبط في جهالة مُطْبِقة ام ان أولئك المؤلفين المنحازين انما يؤلفون عن تاريخ النهضة الأوربية Renaissance كأن لم تكن على وجه الكرة الأرضية نهضة قبل ذلك .

أيها الصديق العزيز أطمئنُكَ إني وإخواني الذين سُعدوا بالتعرف عليك سوف لا ننساك مهما بعدت الدار وتشتت الأمصار فانك نازل في قلوبنـــا مذكور في ألسنتنا في لقاءاتنا وقبولاتنا التي طالما تشرفت بلقياك خلال هاتين السنتين متمنين لك التوفيق في حلك وترحالك في جميع أمورك الشخصية ومهماتك الرسمية ، ويرعاك الله مع أفراد أسرتك الكريمة.وإن الرباط الذي ارتبطنا به أبديٌ سرمدي لا ينقطع إن شاء الله مهما نأتِ الديار وشط المزار فإن الاتصالات السلكية قد تنقطع واللاسلكية قد تتشوش والبثّ بين الأقمار الاصطناعية والأرض قد يعتوره خلل بالنسبة للتبدلات الجوية ولكن كهربائية العضلة القلبية ومجالاتُـها المغناطيسية لا تتأثر بالتأثيرات الجوية ولا بالزوابع المطرية لأنها ليست من صنع البشر بل من صنع الله .

وختاماً أرجو أن تتقبل من طبيب مثلي متطفل على موائد الشعراء هذين البيتـــين :

أحبتنا أنّى رحلـتم فانتمـــوا
نواظـرنا كنتم وأنـتم قلوبُنـــا
وكيف يعيش الجسم والقلب عندكم
فيا ليتكم عدتم لتحيا جسومُنـــا

الطبيب الدكتور عبد المجيد القصاب
الكرخ كرادة مريم حي الاعلام ٣٩
كورنيش النهر

وهذه قصيدة الأستاذ الكبير العلامة الشيخ جلال الحنفي

الحبيب المنتقى

يأبى الشمائل يأتلقن تألّقـــاً
بك يا حبيبـــاً في الأحبّة مُنْتقى
تحبو المجالس اذ تجالس أهلهـــا
لطفاً كمنبلج الصباح ورونقـــا
وإذا ابتسمت فأنت ساحر أنفس
سحراً تضاءل عنده كلّ الرقى
ويضوع من ردنيك عطر دماثة
شأت الأقـــاح بعطرها والزنبقـــا
ولديك من حسن التواضع ما يرى
خلقاً عُرفتَ به وليس تخلّقـــا
فلقد ورثت من الطباع كريمهـــا
ارثاً وكنت بذاك فيها معرقـــا
رزن الخطاب ببيت لو يصغي له
قسّ بن ساعدة الايادي مطرقا
أدبٌ كينبوع الصفا لظمائـــه
ينساب رائـــق مائه مترقرقـــا

ونهى يزكّيه البيـــان ومنطـــق
ناهيكه عند الحكومة منطقـــا

ولطالما وفِقْـــتَ في ابدائـــه
رأياً يبّين الحقّ فيه محققـــا

فكأنّ عندك من عليّ صفحـــة
تغنيك في التوثيق أن تستوثقـــا

ولأنت مذ ثُقفتَ خيرُ مثقـــف
اذ قدْ ضممت إلى ثقافتك التقى

ان الثقافة ان سقت أربـــابهـــا
كأس الهوى لتعدُّ جهلاً مطبقـــا

فلتهنَ تونسُ دهرَها بك مـــن فتىً
في دوحها قد كان غصناً مورقا

أأخا الوداد الصرف راقت جامُهُ
للشـــاربين صبوحهم والمغبقـــا

فيم التعجـــلُ بالرحيل وعهدنـــا
بك في العراق تكاد أن تتعرّقـــا

ولقـــد نراك فتنتنا فخلّيتُنـــا
بشجيّنا في ساحة الوجد التقى

وجدٌ يفيض لواعجاً يُنْسى بهـــا
عهدُ النقا نسياً وغزلان النقـــا

انا نودّع منك خير صحابنـــا
يا مغرباً قد كان ضاهى المشرقا

ولسوف نشكو بعد بعدك ظمـــأة
أبداً اليك وان سقانا من سقى

أأبا نهاد بعضَ عفوك انـــــه
لعطاء من لم يستطع أن يُغْدِقـــا
هذا القريض أقلّ ما استحقَقْتَه
من شاعر بجمال خلقك عُلِّقـا
وإذا تفـاخرت الورى فليفتخر
عبد المجيد بمثل هذا الملتقى
رجل أصاب المجدُ فيه قرينـــه
فتسلقا ما كان صعب المُرْتقـى
هو في الأطبّة عِدلُ جالينوسهم
وبأفق كل ثقافةٍ قد حلّقـا
ما أن تراه عـن المروءة جانحـاً
اذ ان بينهما هنالك موثقـــا

الشيخ جلال الحنفي
بغداد ـ جامع الخلفاء

حلو الشمائل

وهذه قصيدة الاديب الشاعر المقدم المتقاعد الاستاذ عبد الرزاق بستانة صاحب مجلة المناهل المحتجبة .

بلاد العرب قاطبة بـــلادي … وقومي كل من نطقوا بضاد

وأبنـــاء العروبـة أصفيائي … وإخواني الذين لهم ودادي

فما يوماً أميّز بين رهـــط … وآخر ، في الحواضر والبوادي

فمن والاهم واليتُ دومـاً … ومن عاداهم أبداً أعادي

إذا ما مُسّ أيهـم بضُـــر … تراني أستغيث من الكُباد

فلسطين لها نَـدبٌ بروحي … ولبنان يقطّع في فؤادي

سوى ما في العروبة من مآسي … أبيت لأجلها قلق الوساد

هم أهلي الذين لهـم ولائي … وهم ذخري لدى الإحن الشداد

ورب قصي عرق وهـو خـل … يفوق على أخيك من الولاد

فلا عجب إذا أخلصت ودي … لمفضال يعدّ من الأحـاد

هو الفذ النبيـل وذو المعـالي … عنيت به السفير (أبا نهاد)

عنيت به (الحبيب) لكل نفس (محمد) وهو محمود الجهاد
به من كل مفخرةٍ سمـات وفي سوح السياسة ذو سداد
أديـب شاعر لسِنٌ أريـبٌ تميز بالرجاحة والرشـاد
وأما في الوفـاء فلا يجارى يعز نظيره بين العبـاد
فيا حلو الشمائل دمت تهنـا ودام السعد عندك في ازدياد
ونلت الخير حيث تكون جماً وأدركت الأمـاني باطراد
لئن أصبحت في بلـد بعيـد فذكرك عاطر في كل ناد
اليك تحيتي عن كل صحـبي ومن قلبي المضمخ بالوداد

• • •

ويا (عبد المجيد) اليك شكري وشكر الصحب ، كم لك من أياد
دأبت تعز أهل الفضل طـراً وفي تكريمهم أبداً تبادي
وتجمع شملنـا بالدار دومـاً لنلقى صفوة العرب العداد
فلا يُعييك بَذْلُكَ أي مال ولا يقعد بهمتك التنـادي
فدم واسلم لكل مجال فضـل وعش يا شهم مرتفع العمـاد

عبد الرزاق بستانة
بغداد — زيونة حي المثنى ١٣

يا فتى تونس

وهذه قصيدة الاديب الشاعر الاستاذ مربي الجيل الحاج طالب الحاج فليح المدَوَّ

ما عسى أن يقولَ فيكَ قصيدي ... يا ابنَ (عباس) يا كريمَ الجدودِ
أنتَ من تفخر المروءةُ فيه ... يا أخا العزّ والنجارِ النضيدِ
كيف تنأى وليس في الربع قلبٌ ... بمزايا (الحبيبِ) غيرَ عميدِ
يا فتى (تونس) السبوقة للمجد ... ويا ابن المبرّزين الصّيد
لك خلق كالروض لطفاً وطيباً ... وكقطرِ الندى وعرفِ الورود
ونهىً يحسن التصرفَ فذٌ ... واسعُ الأفقِ ما له من حدود
وسجايا كنسمة الصبح بل أندى ... وأشهى من ابنة العنقود
صاغك الله من كمال ولطف ... فتفرّدتَ فيهما في الوجود
وتعاليتَ عزمةً تقهر الصعب ... وتزري بكلِ عزمٍ شديد
وتواضعتَ فارتفعتَ مقاماً ... فاذا أنتَ ممعنٌ في الصعود
وطلبتَ العلى فنلتَ مزيداً ... ثم ما زلت طامعاً بالمزيد
إن تناءيتَ يا (محمد) داراً ... فبعيد الديار غيرُ بعيد
طالما كان في الفواد مقيماً ... طالما كان حافظاً للعهود
يا أديباً إذا تحدّث يوماً ... كانَ قساً في الموقف المشهود
وإذا أنشد القصيدَ حسبتَ ... القلبَ يهتزُ للقصيد الفريد

إنّ (بغداد) وهي بالعزّ غرقى ... لك فيها كم مِن صديق ودود
سوف يبقى على الوفاء مقيمـاً ... ذاكراً عهدَ ودّكِ المحمود
لا تسر يا (محمد) الفضل عنّـا ... وترفـق بأنفسٍ وكبـود

• • •

أيها السادة الأماجـــد أهلاً ... بكمو في ديار (عبد المجيد)
زدتموا الحفل باكرام ابتهاجـاً ... فكأنّ اجتماعكم يومُ عيد
ألف شكرٍ لكم وألف ثنـاء ... يا بني العزّ والندى والجود
أمةُ العربِ ترتجي أن ترانـاً ... باتحادٍ يضمنـا ، منشود
لنقيم المجدَ الطريفَ شموخـاً ... يخلبُ اللبَّ فوق مجد تليـد
حقّق الله وحدةَ العرب للعرب ... ليسموا برغم أنفِ الحسود

(الحاج طالب الحاج فليح المدَو)
بغداد حي الكندي ٢٨ الحارثية

وهذه قصيدة الاديب الشاعر السيد عبد الأمير علوش

صدى الذكريات

ماذا أقول بساعة التوديـــــع — والحفل بين مودعٍ ومَروع
ماذا أقول إذا الأحبة قد نــأت — والذكريات لها صدىً بربوعي
ماذا أقول لنسمةٍ من تونس — الخضراء مرّت في ربى وربيع
تقلى بكل عواطفٍ وخواطـرٍ — عن أخوةٍ شربوا ذرى الينبوع
من أخوة غرقوا ببحرٍ نجيعهـــم — يوم الطعانٌ وما رضوا بصنيع
للعهد عهدٌ لم يزل في خـــاطري — باقٍ وذكراهم تُسيل دموعي
هذا يحامل نفسه في عـــزةٍ — يشكو الفراق ويبدو غيرَ جزوع
قد ضمنا الحفل الكــريم بعليــةٍ — وجهابذ من أحمد ويسوع
من كل بذ في المكارم سيـد — سطعوا ونور الشمس جدسطوع
لا ينطقون بغير ما حكم النهـى — وهمُ على هام العلى بطلوع
نشدوا بذكر الأمسيات وعهدها — عبقٌ يفوح عبيرها بضيــوع
في كل قلب للأحبّة نغمــــة — يذكي (الحبيب)[1] أريجها بذيوع

* * *

ماذا أقول إذا الحواجز بيننــــا — لما تزل تعلو بكل ربوع
هذى الحواجز في البـــلاد هزيلة — فبلادنا ليست بذات قطوع

---

(١) الحبيب : يقصد الحبيب عباس .

هذى الحواجز مفرقٌ تبّاً له ... ان (الجواز) [٢] تميمة المشروع
والدين يأبى أن يُفرق بيننـا ... (والدار واحدة) لكل نزوع
قد جاء في نصّ الكتاب [٣] مؤكداً
فانظر بربك حكمـة التشريـع
هذى أحابيل السياسة لم تزل ... دوامة تبدو لكل ظليـع
ماذا أقول لصانعيه [٤] ورهطهم ... والشاربين خسيس كل ضريع
فمتى تزول حواز قد خطهـا ... (جون بول) بين مرابع وتلوع ؟
حرب على دار العروبة قـائم ... والغر يسعى سعيه بخنوع
سنعيد للوطن الكبير مكانـه ... وتسود فينا حكمة التشريع

• • •

يومان في الأسبوع يجمع بيننـا ... خلان قد عُرفا بخير صنيـع
خلان في عليا الفخار تبـوءا ... مجداً وحلا خافقي وضلوعي
في الكرخ دار للأمـاجد قائم ... للمكرمات لسيد متبـوع [٥]
علَمٌ وكل صفاتـه محمودةٌ ... شهم ، وهذا نهجُ كلِ رفيع
وعلى الرصافة آخرٌ لعميدنـا ... غوث الأديب بيانه ببديع [٦]
هو مهبط الوحي الرفيع وخدمـة ... الدين الحنيف لساجدٍ وركوع

• • •

يا ابن الأكارم إن أقمت مودعاً ... حفلاً يضيء بعلية المجموع
ماذا أقول بمدحه وصفاتـه ... والبحر دون خياله بشسـوع

---

(٢) الجواز : جواز السفر بين البلاد العربية .
(٣) الكتاب : كتاب الله تعالى .
(٤) لصانعيه : صانعي الجواز .
(٥) يقصد الدكتور القصاب صاحب الدعوة .
(٦) العميد عبد الرحمن التكريتي .

أدب وأخلاق وحسن سريـرة أكرم بذكر (حبيبنا) المطبوع
أنا عاجزٌ من أن أكون مودعــاً (لحبيبنا) [٧] والحب بعض شفيعي
إن حلَّ أرض الرافدين فداره أو كان في الخضراء بين يفوع
أو كان في عمّان دار أحبـة أو كان في بردى فما بمريع
فالله أشهـدُ أنــه بقلوبنــا وقلوبنا معه لدى التوديــع
ان طاع شيطاني بمدح حبيبـه فأراه في التوديع غير مطيع
أخشى الفراق لماله من حرقة فدعو الفراق لكاشح وخليــع

* * *

اني دعوت الله يجمـع شملنا سحراً بكل مذلة وخشوع
ويعيد أرض الضاد كاملة لنــا والله للأحباب خير سميع

عبد الامير علوش
٦ ــ ١٧ الحي العربي بغداد

---

(٧) الحبيب عباس .



وهذه كلمة المقدم المتقاعد الاديب السيد عبد الرزاق الجزار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يُسْعدني ويشرّفني في هذا الحفل البهيج ، وبين هذه النخبة الطيّبة من المثقفين والأدباء والشعراء ، وفي بيتٍ كريمٍ من بيوتات بغداد المعروفة ، في بيت أبي البيان الدكتور عبد المجيد القصاب ، يسعدني أن ألبّي رغبة اللجنة القائمة بهذا الاحتفال بمشاركة أعضائها . وقد كان تكليفها إيّاي أن ألقيَ ببعض الأبيات الشعرية لشاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرصافي . هذه الأبيات منشورة في الكتاب الضخم الذي ألّفه الأستاذ الدكتور عبد المجيد القصاب باسم : (رحلة إلى تونس – عتَبَة السلام) المطبوع عام ١٩٦٥ في بغداد ، والذي يضمّ قُرابة خمسمائة صفحة من القِطْع المتوسط .

ومن حُسْن الاتفاق انّه أكمل طبعه ونشره قبيل موعد وصول فخامة رئيس الجمهورية التونسية المناضل الحبيب بورقيبة وقرينته وصحبه الكرام إلى بغداد . وقد آثر الدكتور أبو البيان أن يرصد ريعه هديّة إلى مأوى الأيتام في تونس (مؤسسة أطفال بورقيبة) [١] .

ولا أريد أن أطيل الكلام على مآثر الدكتور عبد المجيد القصاب ، فهي

---

(١) مشروع ضخم اقامه الرئيس الحبيب بورقيبة لتربية الايتام في كامل البلاد التونسية والعناية بهم واعالتهم وتنشئتهم تنشئة صالحة ، واعدادهم لحياة ناجحة .

أكثر من أن تذكر ، يعلمها الخاصة والكافة في العراق ، ويعلمها جلّ المثقفين في أرجاء العروبة في شتى أقطارها وديارها .

وهاكم بعض هذه الأبيات أقرأها على حضراتكم من سفر القصاب نفسه ، تحية إلى تونس العربية الشقيقة ، وتحية إلى رئيسها الحبيب بورقيبة ، وتحية إلى سفيرها في بغداد الأديب الكبير والدبلوماسي المطبوع الأستاذ محمد الحبيب عباس ، بمناسبة انتهاء مهمته الدبلوماسية في عراق الثورة . وإنني واثق أن كلاً منا أيها السادة الأفاضل لا ينسى (أبا نهاد) الأستاذ محمد الحبيب عباس على الرغم من مغادرته ايانا . ونأمل أن نلتقيه ثانية في بغداد أو في تونس أو في البلاد التي سيحل فيها ممثلاً لبلاده الحبيبة ولرئيسه الجليل إن شاء الله .

وهذه هي ابيات الشاعر المرحوم معروف الرصافي :

أتونس أنّ في بغداد قوماً ... ترفّ قلوبهم لك بالوداد

ويجمعهم وإياك انتسابٌ ... إلى من خصّ منطقهم بضاد

ودينٌ أوضحت للناس قبلاً ... نواصع آيه سبل الرشاد

فنحن على الحقيقة أهل قربى ... وإن قضت السياسة بالبعاد

وما ضرّ البعاد إذا تدانت ... أواصر من لسان واعتقاد

وأنّ المسلمين على التآخي ... وإن أغرى الأجانبَ بالتعادي

أتونس إنّ مجدك ذو انتماء ... إلى علْيا نزارٍ أو إيادِ

عبد الرزاق الجزار
٢٦/٢٦ حيّ اليرموك – بغداد



وهذه قصيدة الاديب الشاعر السيد
علي عبد الأمير الحيدري

« يا زارع الزيتون »

يا تاركي رَهْنَ النُحــــولِ ومُصيبَ جَفْنِيَّ بالذُبولِ
ومسهّــدي أرعــى النجومَ بظلمةِ الليـــلِ الطويلِ
ومُجـرعي كـأسَ المنونِ بطعنةِ الطرفِ الكَحيــلِ
أشكــو اليكَ صَبــابـتي شكوى العَليلِ إلى العَليلِ
وأبثكَ الوجـــدَ الدفـينِ بمنطقِ الشعـرِ الأصيــلِ
(أمحمدٌ)[1] أنــتَ الحَبيـبُ وصاحبُ المجدِ الأثيــلِ
قــلْ لي بحــقِ (محمدٍ)[2] هلاّ عدلتَ عن الرحيلِ ؟
إنــي وهبتكَ مهجــتي وتركتُ نفسي للعــذولِ
وسلكــتُ دربَ الواجديـــن فمالَ نجمي للأفولِ
ورضيتُ في بعضِ الهــوى والحرُ يرضى بالقليـــلِ

---

(١) محمد : المحتفى به .
(٢) محمد : الرسول الأعظم (ص) .

فعـــلامَ هجريَ والجَفــا من بعدِ ذيّاكَ الوصولِ ؟

* * *

الأذنُ تعشـــقُ بالسَّماعِ ووقعــةِ الكلمِ الجميــلِ
والقلـــبُ تدميـه العيونُ النجلُ كالسَّيفِ الصَّقيــلِ
والعَقــلُ يوُهنهُ اعتـدا لُ القَدِ ذي الخصرِ النَّحيلِ
فـــاذا الجميـــعُ تولعتْ في حبِ شخصكَ بالدليــلِ
أيصحُ في شَرعِ الهـــوى يا خِلُ هَجرُكَ للخليلِ ؟
(أمحمدٌ) يا زارعَ الزَيتون فـ ي أرضِ النَّخيــــلِ
ومُطَيِّـــبَ الأنفـاسِ في طيبِ الشَمائلِ لا الشَّمولِ
ومبـــادِلَ الخِلانِ نَخبَ الودِ في اللحــنِ الجَميــلِ
فغـدى القليـلُ كثيرهـمْ وكَثيرهمْ مثلَ القَليـــلِ
يا ساكبَ الأدبِ الرَّفيـــــ ـعِ بروضةِ الخُلقِ النَّبيلِ
يِهواكَ (محيي الدين) [1] و (الـ قصاب) [2] والشهم (الخليلي) [3]
و (أبي زهيرِ) [4] ذي الخَيالِ الخَصبِ و(الشيخ الجَليلِ) [5]
والمُحتفين و (من تغـنى) [6] باسمكم و (أبي عقيل) [7]
يَشدونَ أنغامَ الــوِدادِ بِلحنِ غريدٍ أصيــلِ

---

(١) محيي الدين : الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي .

(٢) القصاب : الدكتور عبد المجيد القصاب ، السياسي ، والأديب ، والطبيب المعروف .

(٣) الخليلي : الأستاذ جعفر الخليلي رائد القصة العراقية والأديب الشاعر المعروف .

(٤) ابو زهير هو العميد عبد الرحمن التكريتي الاديب الفلوكلوري التراثي المعروف .

(٥) الشيخ الجليل : الشيخ جلال الحنفي ، عالم فاضل ، وشاعر بارز ، ومحقق ، وفنان .

(٦) من تغنى : صاحب الأبيات الشعرية .

(٧) ابو عقيل : الشاعر المعروف الحاج طالب الحاج فليح المدّو .

أورى جَوانِحَنا الصُــدودُ فَهلْ لِوصلِكَ من سَبيلِ ؟
يا راحِلاً تشكو إليــــهِ جوانحيْ حَرَّ الغَليــلِ
خُذها أَرقَّ من النَســيمِ شَهيـــةً كالزَنجَبيــلِ
وإلى جَميــعِ المحتَفــينَ أُشيرُ بالشكرِ الجَزيــلْ
وليسَلمَنَّ (أبا المثــنى) [1] دَوحةَ المجدِ الأصيــلِ

علي الحيدري
بغداد حي البلديات
١٥ – ١٣ – ١٥٥٥

(١) ابو المثنى : الدكتور القصاب صاحب الدعوة .

بسم الله الرحمن الرحيم

(نص الكلمة التي ارتجلتها ، وفاضت بها مشاعري في نهاية كلمات أخواني الأساتذة الأدباء وقصائد أشقائي الشعراء الذين شاركوا في الحفلة التكريمية التي أقامها العالم الأديب المؤرخ المصلح سيادة الأخ صديق تونس المخلص ، وصديق رئيسها الوفي — (وكلاهما وفيّ) الدكتور عبد المجيد القصاب في داره العامرة مساء يوم ٢٨ تموز ١٩٧٨ قبيل مغادرتي العراق الشقيق عند انتهاء مهامي بها سفيراً للجمهورية التونسية).

محمد الحبيب عباس

« صاحب المعالي أبا بيان ! (١)
سماحة الإمام الجليل ! (٢)
سيادة رئيس المجمع العلمي العراقي (٣) !
أيها السادة الشعراء ، والزملاء الكرام !
أيها الأدباء العباقرة ، والشعراء الفطاحل !
أيها الوجهاء الأماجد !
أحبائي واخواني !
ان التأثر ليشدّ عليّ منافذ مقولي ، ويسدّها سدّاً ، التأثر بما ضربتم به

المثل في مكارم الأخلاق . وانه لخلق العرب الكرام . ولا غروْ أن تكونوا المثل الأعلى ! وانه لمن المصائب ما يُصدع الأفئدة ، ويخرس الألسنة ، ويطيش بالألباب ، ويحير الوجدان ، واني وأيم الله لفراقكم لمحزون . ولترك بلادكم العزيزة لشديد التأثر . ولكنها سنة الله وقضاؤه ، ولا راد لما أراده الله .

أنّى لي أن أضارع هذه القصائد الرائعة ، والخطب النافذة ، والمشاعر المؤثرة وأنّى لي أن أطاول الخلق الكريم المعطاء ، والسجايا السخية التي لا تضاهى . أبو البيان جال وجال . وهو الشاعر ان عدّ الشعراء ، والأديب في عداد الأدباء ، والمؤرخ مع المؤرخين ، والفيلسوف عند ذكر الفلاسفة ، والسياسي النابغ ، والعالم المطلع ، والقانوني المتبحر . انه رجل كألف ! إن شهدتَ النوادي كان ضمن خيارها . وإن حضرتَ المجالس كان في طليعة المقبلين عليها ، وإن جاء القوم للتحية كان الشهم الذي يضرب المثل بمشاعر الوفاء ، وإن ذُكر الذاهبون للترحم كان نبراساً للأوفياء.

وما فيكم إلاّ مثيل له . فلقد عرفتكم ، فأثريتم متواضع شخصي . وطعّمتم نادر [٤] علمي وقليل زادي . وكثّرتم وحدتي ، وضئيل جهدي ، وأعنتموني فبان عملي ، وهو لكم ، على خير رشاد .

أخذت عنكم فاستفدت ، وأفضتم علي من روحكم ، وتجاربكم ، وخلقكم ، ما مدّد أبعاد شخصيتي المتواضعة . فلا زلتم خير الأوفياء . وأكرم النبلاء . ولا غرو أن تكونوا كذلك ، فلطالما ازدهرت بغداد بالأفذاذ أمثالكم عبر تاريخها المجيد ، وأنتم تحيون ذلك المجد .

أنا عاجز عن مضارعة ألْسِنَةِ الشعراء الناطقة المفصاحة ، أنّى لبياني أن يبلغَ « مُدّ أحدهم أو نصيفه » ! وعجزي عن توجيه مشاعر التقدير لكل واحد منهم يشفع لي في هذا التقصير الفضيع .

سأحمل عن هذا البلد الشقيق ذكريات أصبحت جزءاً من حياتي ، وعهداً من عمري ، وصفحات مشرقة من تاريخ بلادي . وأنّى أشكر لها ! وكيف

يتخطاها النسيان ! اللهم أن ينكر المرء نفسه ، ويلعن ذاته .

إنّ ما نوهتم به من جهدي المقل ، والعمل المحدود ، والسعي الذي تشفع له النيّة الحسنة والقصد الجميل لم يكن إلا رجع صدى لكم ، وانعكاساً لمرآة نصبتموها فشعّ عليها شعاع لا يخبو ولا يطفأ . شعاعكم أنتم أيها الأعلام الوجهاء الذي أنار طريقي ، ومهد سبيلي وآزر جهودي ، واني بدونكم ما كان ليكون لي أي سداد .

عَطّرْتُم صفحتي ، ونوهتم بسيرتي . وانه لعبء ثقيل ، ولكنه جميل ، أحمله وأنا أترك دياركم على أن أرعاه . وأعدكم بالوفاء له . وأرجو الله أن يسدد خطاي لأكون عند حسن ظنكم جميعاً .

حقاً ! لقد كنت في بلدي . وبين اخواني ، وأنِسْت بلطف معشركم ، وطابت لي الأيام ، وتدفق حماسي للعمل لخير البلدين ، وصالح أمتنا المجيدة . ولولا دعمكم ، وتشجيعكم ، وغراسكم ، واشعاعكم ما كان ليكون لي إلاّ البوار .

سأمضي بوحي من روحكم لأداء ما يتطلبه الواجب خدمةً لقضايانا ، وسعياً لرأب صدعنا ، وحرصاً على جمع كلمتنا ، ودأباً في توحيد صفوفنا . والله أسأل أن يلهمنا السداد ، ويبارك في جهودنا جميعاً لما فيه خير أمتنا . إنه سميع مجيب !

أما أنتم أيها السادة الكرام لكأن أبا العباس النامي قصد كل واحد منكم حين قال :

خلقتَ كمـــا أرادتك المعـالي   وأنت لمن رجاك كما يريد .

وإنه ليحلو لي أن أقول :

أيا معشر التوديع فدتك نفسي !

ويا مجلس القصاب حالفك الهناء !

ويا صفوة الاختيار حظيتم بكل أنس ...

إلى يوم لقيانا على عهد الوفاء .

وشكراً لكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) هو صاحب الدعوة المصلح الكبير والعالم الحكيم والاديب الشاعر المؤرخ الدكتور النظامي السيد عبد المجيد القصاب المكنى باني بيان .

تولى الوزارة ثلاث مرات ، وعرفت له جهود اصلاحية ما زالت تذكر له بالتنويه وقبل ذلك كان مناضلاً سياسياً لتحرير وطنه ، والنهوض به ، وتجاوز عمله حدود العراق فكان من اوائل العاملين على غرس نواة العمل العربي المشترك ، والتعاون البناء ، وانعاش اواصر الاخوة بين العرب بعيداً عن حواجز المكان ، وسمات الجنسية . وما يزال داعية تقارب وتناصر وتلاحم ..

(٢) هو سماحة الامام المصلح الكبير الشيخ محمد مهدي الخالصي .

(٣) هو الدكتور السيد عبد الرزاق محيي الدين وزير سابق ، وبحاثة محقق .

(٤) الندرة هنا بمعنى القلة والنزر ، لا بمعنى النفاسة ، ولذلك عمدت إلى الجمل الثلاث بعدها لرفع توهم ارادته ، وتعيين الاستعمال في المعنى الاول لا غير .

لمحاتٌ تاريخيَّة
عَن الدّبلومَاسِيَّة وَحَصَانتها



مصادر البحث : ـ

في اللغة العربية كتب القانون الدولي لعلي ماهر ومحمود سامي جنينه وابو هيف ودفاع الدكتور حسن زكريا عن الساعي المصري محمد علي عيسى وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي وكتاب الكامل لابن الاثير .

٢ ـ في اللغة الافرنسية ـ كتاب الحقوق الدولية (لجورج سيل) وكتاب الحقوق الجنائية (دونديه دوفابر) وكتاب الحقوق الدولية للاستاذ (ج. سالفيولي) .

٣ ـ في اللغة الانكليزية ـ الكتاب السنوي الانكليزي للقانون الدولي لعام ١٩٥٣ والكتاب السنوي لعام ١٩٥٤ ومعلومات عامة .

*** تاريخ الدبلوماسية ***

أجمع علماء القانون على أن الاغريق والرومان هم أول من ارسلوا مبعوثين مؤقتين يمثلونهم لدى دول أخرى لبحث قضايا معينة يعتمد عليهم في بحثها الاباطرة والملوك والامراء والحكام . كما اتفقوا ايضاً بأن هذا النوع من التمثيل لم يأخذ شكلاً منظماً إلا في القرن الثاني عشر للميلاد ويقول هؤلاء العلماء ان اولئك المرسلين كانوا يتمتعون بحرمة دينية خاصة

ويحاطون بهالة من التقديس الديني وذلك لان القانون الدولي بشكله الحالي لم يكن موجوداً آنذاك .

اما قبل ذلك التاريخ فقد مر المجتمع في دوره (العائلي) ثم في دوره القبلي فلم يعرف هـــذه الاتصالات وذلك (بطبيعة الحال) ناتج عن عدم الحاجة اليها لا من الوجهة الاقتصادية ولا من الوجهة السياسية لأن الخلافات كانت تحل (بالقوة) ولأن الاتصالات الاقتصادية لم تكن موجودة اصلاً لأن الحالة الاقتصادية كانت تتمثل (بالاقتصاد المنزلي) و (المحلي) .

ولكن بعد ان تأسست الدولة عند الاغريق والرومان (كما يقول المؤلفون) بدأ رؤساؤها يعتمدون على رجال من طبقة معينة تتوفر فيهم كفاءات ممتازة يرسلونهم إلى دول أخرى في مهمات خاصة . فكان هؤلاء الرجال يحاطون بهالة قدسية دينية ولكن لا ادري لماذا يصر جميع الكتاب والمؤرخين بان نظام الارسال او الايفاد هذا بدأ عند اليونان والرومان دون سواهما من دول العالم المعروف آنذاك ؟ فهو إما أن يكون قد بدأ عند الاغريق والرومان لاول مرة وهذا ما ليس لي اعتراض عليه ، واما أن يكون قد نشأ بنشوء الدولة وعندئذ يجب ان لا يختص بالرومان واليونان فقط بل يجب ان يمتد تاريخه إلى أبعد من ذلك لأن دولاً كثيرة نشأت في الشرق قبلهما بكثير .

فاذا كان هذا النظام من مستلزمات الدولة فلماذا نتقيد بهذه الفكرة السائدة عند المؤرخين بتخصيصه عند الاغريق والرومان مع ان الاكديين والسومريين والاشوريين والبابليين والفراعنة والفرس والفنيقيين والعرب قد الفوا دولاً متحضرة ظهرت قبل الاغريق والرومان بكثير (١٠٠٠ — ٢٠٠٠ — ٣٠٠٠ ق. م.) فكانت لتلك الدول صلات عديدة مع الدول المجاورة لها . سياسية كانت تلك الصلات ام حربية ام تجارية . كما كانت لها قوانين وتنظيمات لا تقل شأناً عما كان لدى الاغريق والرومان .

أفلا يجوز القول بأن تلك الدول كانت تتبادل الوفود فيما بينها لحسم الخلافات او لتقديم شروط معينة على اتفاق مّا او انهاء معارك ومشاحنات او لامور تجارية او لشؤون خاصة بالملوك مثلاً ام ان هؤلاء السادة المؤرخين لم يتعمقوا بدراسة احوال تلك الامم ام انهم كتبوا ما كتبوه قبل اكتشاف حضاراتها فصار من يتبعهم من المؤرخين ينحون منحاهم بالتقليد . ويظهر ان المؤرخين الاوربيين عندما يؤرخون يؤرخون بالنسبة إلى اوربا فاذا ما أرّخوا مثلاً عن عصر النهضة فانما يقصدون النهضة الاوربية واذا ارّخوا عن العصور المظلمة فانما يقصدون حالة اوربا مع العلم انهم يعرفون تماماً بان ذلك الظلام لم يكن له اثر في البلاد العربية والاسلامية التي كانت تتمتع بأزهى وابهى وازهر عصورها عصور النور لا الظلمات . وعلى كل حال اريد ان اقول بأن العالم قد عرف ايفاد الرسل قبل ان يعرفه الاغريق والرومان واثناء معرفتهما له وبعد معرفتهما له .

فيذكر التاريخ ان ملك الفرس (اكسكريس) كان يقدس الرسل ويحترمهم الاحترام اللائق بالملوك الذين يرسلونهم وكذلك كان يفعل (كسرى انوشروان) ويظهر ذلك لنا جلياً من معاملته لوفود النعمان بن المنذر رغم الكلمات القاسية التي وجهوها له رداً على كلماته بحضور وزرائه وقواده في جلسة علنية ما كان كسرى ليتحملها لولا صدورها عن وفود رسميين جاءوا يفاوضونه بالنيابة عن شعوبهم في قضايا حيوية تهمه وتهم شعوبهم بالنسبة إلى صلات الجوار والمنافع المتبادلة .

فقد قال القطامي عن الكلبي ما يلي : —

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم . فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم لا يستثني فارس ولا غيرها . فقال كسرى — وأخذته عزة الملك —

يا نعمان لقد فكرت في امر العرب وغيرهم من الأمم . ونظرت في حال من يقدم على من وفود الأمم فوجدت الروم لها حظ في وحدتها ، وعظم سلطانها وكثرة مدائنها . ووثيق بنيانها . وان لها ديناً يبين حلالها وحرامها . ويرد سفيهها . ويقيم جاهلها . ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة انهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعاتها وطيب اشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها . وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات ايديها في آلة الحرب وصناعة الحديد ، وفروسيتها وهمتها وان لها ملكاً يجمعها . والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تضم قواصيهم ، وتدبير أمرهم . ولم ار للعرب شيئاً من خصال الخير في امر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوة مع ان مما يدل على مهانتها وذلها وصغر همتها ، محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون اولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها . فافضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الابل التي يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها ، وان قرى احدهم ضيفاً عدها مكرمة وان اطعم اكلة عدها غنيمة ، تنطق بذلك اشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التنوخية [1] التي اسس جدي اجتماعها ، وشد مماكتها ومنعها من عدوها ، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا ، وان لها مع ذلك آثاراً ولبوساً وقرى وحصوناً ، وامور تشبه بعض أمور الناس . ثم لا اراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة ، والفاقة والبؤس ، حتى تفتخروا وتريدوا ان تنزلوا فوق مراتب الناس .

قال النعمان : اصلح الله الملك ، حق لأمة الملك ان يسمو فضلها ويعظم

---

(١) يعني اليمن .

خطبها وتعلو درجتها . إلا أن عندي جواباً في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فان أمّنني من غضبه نطقت به . قال كسرى : قل فأنت آمن . قال النعمان : أما امتك ايها الملك فليست تنازع في الفضل ، لموضعها الذي هي به من عقولها واحلامها ، وبسطة محلها ، وبحبوحة عزها ، وما اكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . واما الأمم التي ذكرت . فأي امة تقرنها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى : بماذا ؟

قال النعمان : بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة السنتها وشدة عقولها وانفتها ووفائها .

فأما عزّها ومنعتها . فانها لم تزل مجاورة لأبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل . حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر . اذ غيرها من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور .

واما حسن وجوهها والوانها . فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة والصين المُنْحفة والترك المشوهة . والروم المقشّرة .

واما انسابها وأحسابها فليست أمة من الامم إلا وقد جهلت آباءها واصولها وكثيراً من اولها . حتى ان احدهم ليسأل عمن وراء ابيه دنياً . فلا ينسبه ولا يعرفه وليس احد من العرب إلا يسمي آباءه أباً فأباً . حاطوا بذلك احسابهم ، وحفظوا به انسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه . ولا ينتسب إلى غير نسبه . ولا يدعي إلى غير ابيه . واما سخاؤها فآن ادناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريّه . فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزي بالشربه . فيعقرها له . ويرضى ان يخرج عن دنياه فيما يكسبه حسن الا حدوثه وطيب الذكر واما حكمة السنتهم . فان الله تعالى اعطاهم في اشعارهم ورونق كلامهم

وحسنه ووزنه وقوافيه . مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال . وابلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الاجناس . ثم خيلهم افضل الخيل ونساؤهم اعف النساء . ولباسهم افضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة ، وحجارة جبلهم الجزع [1] . ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر .

واما دينها وشريعتها . فانهم متمسكون به . حتى يبلغ احدهم من نسكه بدينه ان لهم اشهراً حرماً . وبلداً محرماً وبيتاً محجوباً ، ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل ابيه أو اخيه وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغبته منه فيحجزه كرمه . ويمنعه دينه عن تناوله بأذى .

وأما وفاؤها فان احدهم يلحظ اللحظة ويومىء الايماءة فهي ولث [2] وعقدة لا يحلها الا خروج نفسه . وان احدهم ليرفع عوداً من الارض فيكون رهناً بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته وان احدهم ليبلغه ان رجلاً استجار به وعسى ان يكون نائياً عن داره فيصاب ، فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما خفر من جواره . وانه ليلجأ اليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة . فتكون انفسهم دون نفسه ، واموالهم دون ماله .

وأما قولك ايها الملك : يئدون اولادهم ، فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج .

أما قولك : ان افضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت فيها ، فما تركوا ما دونها الا احتقاراً له ، فعمدوا إلى اجلّها وافضلها . فكانت مراكبهم وطعامهم ، مع انها اكثر البهائم شحوماً واطيبها لحوماً وارقها

---

(١) الجزع : خرز يماني أبيض وأسود .

(٢) ولث : العهد

البانا . واقلها غائلة . واحلاها مضغة وانه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه .

واما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً . وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا انست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه انما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم . فيلقون اليهم امورهم . وينقادون لهم بأزمتهم . واما العرب . فان ذلك كثير فيهم . حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكاً اجمعين . مع انفتهم من أداء الخراج والوطف بالعسف .

واما اليمن التي وصفها الملك . فانما اتى جد الملك الذي اتاه عند غلبة الحبش له . على ملك متسق . وامر مجتمع . فأتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً قد تقاصر عن ايوائه ، وصغر في عينه ما شيد من بنائه ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال إلى مجال ولوجد من يجيد الطعان . ويغضب للأحرار ، من غلبة العبيد الأشرار . قال : فعجب كسرى لما أجابه النعمان به وقال : انك لأهل لموضعك من الرياسة في اهل اقليمك ولما هو افضل ثم كساه من كسوته وسرحه إلى موضعه من الحيرة .

فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين امرهم . بعث إلى اكثم بن صيفي وحاجب بن زراره التميميين وإلى الحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين وإلى خالد ابن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين . وإلى عمرو بن الشريد السلمي . وعمرو بن معد يكرب الزبيدي . والحارث بن ظالم المرّي . فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت ان يكون لها غور او يكون انما اظهرها لامرٍ أراد أن يتخذ به العرب خولا كبعض

طماطمته في تأديتهم الخراج اليه . كما يفعل بملوك الامم الذين حوله .
فاقتص عليهم مقالات كسرى وما رد عليه . فقالوا ايها الملك وفقك الله .
ما احسن ما رددت وابلغ ما حججته به فمرنا بأمرك وادعنا إلى ما شئت
قال : انما انا رجل منكم وانما ملكت وعززت بمكانكم . وما يتخوف
من ناحيتكم وليس شيء احب إلى مما سدد الله به امركم . وأصلح به
شأنكم . وادام به عزكم والرأي ان تسيروا بجماعتكم ايها الرهط وتنطلقوا
إلى كسرى . فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره . ليعلم ان العرب
على غير ما ظن او حدثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه . فانه
ملك عظيم السلطان كثير الأعوان . مترف ، معجب بنفسه ، ولا تنخزلوا
له انخزال الخاضع الذليل وليكن امر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم .
وفضل منزلتكم . وعظمة اخطاركم وليكن اول من يبدأ منكم بالكلام
أكثم بن صيفي لسني محله ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم
بها وانما دعاني إلى التقدمة بينكم علمي بميل كل رجل منكم إلى التقدم
قبل صاحبه فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعناً ، فانه ملك
مترف ، وقادر مسلط . ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حال الملوك
لكل رجل منهم حلة ، وعممه عمامة وختمه بياقوته ، وامر لكل رجل
منهم بنجيبة مهرية وفرس نجيبة ، وكتب معهم كتاباً « أما بعد . فان الملك
القى إلى من أمر العرب ما قد علم . وأجبته بما قدفهم . بما احببت ان يكون
منه على علم ولا يتلجلج في نفسه ان أمة من الأمم التي احتجزت دونه
بمملكتها ، وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شيء من الأمور التي
يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة ، وقد اوفدت ايها الملك
رهطاً من العرب لهم فضل في احسابهم وانسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع
الملك ، وليغمض عن جفاء ان ظهر من منطقهم ، وليكرمني باكرامهم
وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم في اسفل كتابي هذا إلى عشائرهم » .

فخرج القوم في اهبتهم ، حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا

اليه كتاب النعمان ، فقرأه وامر بانزالهم إلى ان يجلس لهم مجلساً يسمع منهم . فلما ان كان بعد ذلك بأيام ،أمر مرازِبَتَهُ[1] ووجوه اهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام الترجمان ليؤدي اليه كلامهم ، ثم اذن لهم في الكلام .

فقام اكثم بن صيفي فقال : ان افضل الاشياء اعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وافضل الملوك اعمها نفعاً ، وخير الازمنة اخصبها ، وافضل الخطباء اصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطيء ، آفة الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الامور الصبر ، حسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة ، اصلاح فساد الرعية خير من اصلاح فساد الراعي . من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء . شر البلاد بلاد لا امير بها . شر الملوك من خافه البريء . المرء يعجز لا المحالة . افضل الاولاد البررة . خير الاعوان من لم يُراءِ بالنصيحة . احق الجنود بالنصر من حسنت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه ، الصمت حكم وقليل فاعله . البلاغة الايجاز . من شدد نفر ، ومن تراخى تآلف .

فتعجب كسرى من اكثم ، ثم قال : ويحك يا اكثم : ما أحكمك وأوثق كلامك لولا وضعك كلامك في غير موضعه ! قال أكثم : الصدق ينبيء عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال اكثم : رب قول انفذ من صول .

ثم قام حاجب بن زراره التميمي فقال : ورى زندك . وعلت يدك ، وهيب سلطانك ، ان العرب أمة قد غلظت اكبادها ، واستحصدت مرتها ، ومنعت درتها ، وهي لك وامقة ما تألفتها . مسترسلة مالا ينتها ، سامعة ما

---

(١) المرازبة : قواده وكبار مرافقيه .

سامحتها، وهي العلقم مرارة والصاب غضاضة. والعسل حلاوة والماء الزلال سلاسة ، نحن وفودها اليك ، والسنتها لديك ، ذمتنا محفوظة ، واحسابنا ممنوعة ، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة ، وان نؤب لك حامدين خيراً فلك بذلك عموم محمدتنا ، وان نذم لم تختص بالذم دونها قال كسرى : يا حاجب . ما اشبه حجر التلال بألوان صخرها ، قال حاجب : بل زئير الاسد بصولتها . قال كسرى : وذلك

ثم قام الحارث بن عبادة البكري فقال : دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سنائها ، من طال رشاؤه كثر متحه ، ومن ذهب ماله قل منحه . تناقل الأقاويل يعرف به اللب . وهذا مقام سيوجف [1] بما ينطق فيه الركب ، وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ، ونحن جيرانك الادنون واعوانك المعينون ، خيولنا جمة وجيوشنا فخمة ، ان استنجدتنا فغير رُبُض وان استطرقتنا فغير جُهُض وان طلبتنا فغير غمض لا تنثني لذعر ولا تتنكر لدهر . رماحنا طوال واعمارنا قصار .

قال كسرى : انفس عزيزة (وامّة) والله ضعيفة .

قال الحارث : ايها الملك . وانى يكون لضعيف عزة او لصغير مرة .

قال كسرى : لو قصر عمرك . لم تستولِ على لسانك نفسك

قال الحارث : ايها الملك ان الفارس اذا حمل نفسه على الكتيبة مغرراً بنفسه على الموت ، فهي منية استقبلها ، وحياة استدبرها ، والعرب تعلم اني ابعث الحرب قدماً واحبسها وهي تصرف بهم ، حتّى اذا جاشت نارها وسعرت لظاها وكشفت عن ساقها . جعلت مقادها رمحي وبرقها سيفي ورعدها زئيري ، ولم اقصر عن خوض خضا خضها . حتّى انغمس في

---

(١) الايجاف – سرعة السير .

غمرات لججها . وأكون فلكاً لفرساني إلى بحبوحة كبشها [1] . فاستمطرها دماً . واترك حماتها جزر السباع وكل نسر قشعم [2] .

ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أكذلك هو ؟ قالوا : فعاله انطق من لسانه . قال كسرى : ما رأيت كاليوم وفداً أحشد ، ولا شهوداً أوفد . ثم قام عمرو بن الشريد السلمي فقال : ايها الملك ، نعم بالك ، ودام في السرور حالك ، وان عاقبة الكلام متدبرة ، واشكال الأمور معتبرة ، وفي كثير ثقلة وفي قليل بلغة ، وفي الملوك سورة العز ، وهذا موطن له ما بعده ، شرّف فيه من شرّف ، وخمل فيه من خمّل . لم نأت لضيمك ، ولم نفد لسخطك ، ولم نتعرض لرفدك . ان في اموالنا مرتفداً وعلى عزنا معتمداً ، أن أورينا ناراً أثقبنا ، وان أود دهرٌ بنا اعتدلنا ، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون . ولمن رامك مكافحون حتى يحمد الصدر ، ويستطاب الخبر .

قال كسرى : ما يقوم قصد منطقك بافراطك . ولا مدحك بذمك .

قال عمرو : كفى بقليل قصدي هادياً ، وبأيسر افراطي مخبراً . ولم يلم من عزفت نفسه عما يعلم . ورضي من القصد بما بلغ .

قال كسرى : ما كل ما يعرف المرء ينطق به ، اجلس .

ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال : أحضر الله الملك اسعاداً . وارشده ارشاداً ، ان لكل منطق فرصة ، ولكل جابة غصة ، وعيّ المنطق اشد من عيّ السكوت . وعثار القول انكى من عثار الوعث وما فرصة المنطق عندنا إلا بما نهوى ، وغصة المنطق بما لا نهوى غير مستساغة ، وتركي ما اعلم

---

(١) الكبش : سيد القوم .
(٢) القشعم : المسنّ .

من نفسي ويعلم من سمعني اني له مطيق احب إلى من تكلفي ما اتخوف ويتخوف مني ، وقد اوفدنا اليك ملكنا النعمان ، وهو لك من خير الاعوان ونعم حامل المعروف والاحسان . أنفسنا بالطاعة لك باخعة . ورقابنا بالنصيحة خاضعة وأيدينا لك بالوفاء رهينة .

قال له كسرى : نطقت بعقل وسموت بفضل وعلوت بنبل .

ثم قام علقمة بن علاثه العامري فقال : انهجت لك سبل الرشاد ، وخضعت لك رقاب العباد ، وان للأقاويل مناهج وللآراء موالج وللعويص مخارج ، وخير القول اصدقه ، وافضل الطلب انجحه ، وانّا وان كانت المحبة احضرتنا والوفادة قربتنا . فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك بل لو قست كل رجل منهم ، وعلمت منهم ما علمنا لوجدت له في ابائه ذنـّياً انداداً وأكفاء ، كلهم إلى الفضل منسوب ، وبالشرف والسؤدد موصوف ، وبالرأي الفاضل والأدب النافذ معروف ، يحمي حماه ، ويروي نداماه ، ويذود اعداه ، لا تخمد ناره ، ولا يحترز منه جاره ، أيها الملك ، من يبلُ العربَ يعرف فضلهم ، فاصطنع العرب فانها الجبال الرواسي عزاً ، والبحور الزواخر طمياً ، والنجوم الزواهر شرفاً ، والحصى عدداً ، فان تصرف لهم فضلهم يعزّوك وتستصرخهم لا يخذلوك .

قال كسرى : وخشي ان يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه : حسبك ابلغت واحسنت .

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أطاب الله بك المراشد ، وجنبك المصائب ، ووقاك مكروه الشصائب [1] . ما احقنا اذ اتيناك باسماعك ما لا يحنق صدرك ولا يزرع لنا حقداً في قلبك ، لم نقدم ايها الملك لمساماة ،

---

(١) الشصائب : الشدائد . والواحدة شصيبة .

ولم ننتسب لمعاداة ، ولكن لتعلم انت ورعيتك ومن حضرك من وفود الامم انا في المنطق غير محجمين . وفي البأس غير مقصرين ، ان جوزينا فغير مسبوقين ، وان سومينا فغير مغلوبين .

قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين . وهو يعرّض به في تركه الوفاء بضمانه السواد .

قال قيس : ايها الملك ما كنت في ذلك إلا كوافٍ غدر به، او كخافرٍ اخفر بذمته .

قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان ولا لذليل خفارة .

قال قيس : ايها الملك ما انا فيما خفر من ذمّي احق بالزامي العار منك فيما قتل من رعيتك ، وانتهك من حرمتك .

قال كسرى : ذلك لأن من ائتمن الخانة [1] واستنجد الأثمة ناله من الخطأ ما نالني وليس كل الناس سواء كيف رأيت حاجب بن زرارة لم يحكم قواه فيبرم . ويعهد فيوفي . ويعد فينجز ؟

قال : وما احقه بذلك وما رأيته الا لي .

قال كسرى : القوم بزل ، فأفضلها اشدها .

ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال : كثر فنون المنطق . ولبس القول اعمى من حندس الظلماء ، وانما الفخر في الفعال ، والعز في النجدة ، والسؤدد مطاوعة القدرة ، وما اعلمك بقدرنا ، وابصرك بفضلنا وبالحري ان ادالت الايام وثابت الاحلام ، أن تحدث لنا اموراً لها اعلام .

قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مجتمع الاحياء من ربيعة ومضرّ على أمر يذكر .

---

(١) الخانة : جمع خائن .

قال كسرى : وما الأمر الذي يذكر ؟ قال : ما لي علم بأكثر مما خبرني به مخبر .

قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟ قال : لست بكاهن ولكن بالرمح طاعن . قال كسرى : فان أتاك آتٍ من جهة عينك العوراء ما انت صانع ؟ قال : ما هيبتي في قفاي بدون هيبتي في وجهي وما اذهب عيني عيث [1] ولكن مطاوعة العبث .

ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي فقال : انما المرء بأصغرية : قلبه ولسانه . فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجعة الارتياد ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة . وتوقف الخبرة خير من اعتساف الحيرة ، فاجتبذ [2] طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا . فإنا اناس لم يوقس [3] صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضماً ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضماً .

ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال : ان من آفة المنطق الكذب ، ومن لؤم الاخلاق الملق ، ومن خطل الرأي خفة الملك المسلط فان اعلمناك ان مواجهتنا لك عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تصاف ، فما انت لقبول ذلك منا بخليق ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود ، واحكام ولث العقود ، والامر بيننا وبينك معتدل ما لم يأت من قبلك ميل او زلل .

قال كسرى : من انت ؟ قال : الحارث بن ظالم ، قال : ان في اسماء ابائك لدليلاً على قلة وفائك ، وان تكون اولى بالغدر ، واقرب من الوزر .

---

(١) العيث : الافساد .

(٢) اجتبذ : اجتذب .

(٣) يوقس : يخدش .

قال الحارث : ان في الحق مغضبة ، والسرو التغافل ، ولن يستوجب احد الحلم إلا مع القدرة ، فلتشبه افعالك مجلسك .

قال كسرى : هذا فتى القوم . ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم ، وتفنن فيه متكلموكم. ولولا اني اعلم ان الادب لم يثقف فيه اودكم ولم يحكم امركم وانه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة . فنطقتم بما استولى على ألسنتكم . وغلب على طباعكم لم اجز لكم كثيراً مما تكلمتم به. واني لأكره ان أجبّه وفودي: أو أحنقَ صدورهم ، والذي احب هو اصلاح مداركم ، وتألف شواذكم ، وإلا عذار إلى الله فيما بيني وبينكم ، وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب ، وصفحت عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا إلى ملككم ، فاحسنوا موازرته ، والتزموا طاعته ، واردعوا سفهاءكم ، واقيموا أوَدَهم ، واحسنوا أدبهم ، فان في ذلك صلاح العامة .

ــ وفود حاجب بن زراره على كسرى ــ

قال العتبي عن ابيه :

ان حاجب بن زراره وفد على كسرى لما منع تميماً من ريف العراق ، فأستأذن عليه ، فأوصل اليه : أسيّدُ العرب انتَ ؟ قال : لاقال : فسيد مضر ؟ قال : لا قال : فسيد بني ابيك أنت ؟ قال : لا ثم اذن له . فلما دخل عليه قال له : من انت ؟ قال : سيد العرب . قال : اليس قد اوصلت اليك . أسيد العرب ؟ فقلت لا؟ حتى اقتصرت بك على بني ابيك فقلت لا؟ قال له : ايها الملك لم اكن كذلك حتى دخلت عليك . فلما دخلتُ عليك صرتَ سيدُ العرب . قال كسرى : آه املأوا فاهُ دراً . ثم قال : انكم

---

(١) السرو : المروءة في شرف .

معشر العرب غدر ، فان اذنت لكم افسدتم البلاد واغرتم على العباد واذيتموني . قال حاجب : فاني ضامن للملك ان لا يفعلوا . قال : فمن لي بأن تفي أنت ؟ قال : ارهنك قوسي . فلما جاء بها ضحك من حوله وقالوا : لهذه العصا يفي؟: قال كسرى : ما كان ليسلمها لشيء أبداً ، فقبضها منه . واذن لهم ان يدخلوا الريف .

ومات حاجب بن زراره فارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس ابيه فقال له : ما انت الذي رهنتها ؟ قال : أجل . قال : فما فعل ؟ قال : هلك ، وهو أبي ، وقد وفى له قومه ووفى هو للملك . فردها عليه وكساه حُلة .

فلما وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم عطارد بن حاجب وهو رئيس تميم واسلم على يديه . اهداها النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فباعها من رجل من اليهود باربعة آلاف درهم .

— وفود أبي سفيان على كسرى —

قال الأصمعي : حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المريّ قال : (قال) ابو سفيان :

أهديت لكسرى خيلاً وادماً ، فقبل الخيل ورد الأدم . وأُدخلت عليه فكان وجهه وجهين من عظمه ، فألقى إليّ مخدة كانت عنده .

فقلت : واجوعاه ! أهذه حظي من كسرى بن هرمز ؟ قال : فخرجت من عنده . فما أمرُّ على أحد من حشمه إلا أعظمها ، حتى دُفعت إلى حازن له ، فأخذها وأعطاني ثمانمائة إناء من فضة وذهب.

قال الأصمعي : فحدثت بهذا الحديث النوشجان الفارسي .

فقال : كانت وظيفة المخدة الفاً إلا أن الحازن اقتطع منها مائتين .

– وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر –

قال : وَفَدَ حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر قال : فلقيت رجلاً ببعض الطريق ، فقال لي : اين تريد ؟ قلت : هذا الملك . قال : فانك اذا جئته متروك شهراً ثم تترك شهراً آخر ، ثم عسى أن يأذن لك ، فان انت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه خيراً . وان رأيت أباً أمامه النابغة فاظعن ، فانه لا شيء لك . قال فقدمت عليه ففعل بي ما قال : ثم خلوت به واصبت مالاً كثيراً ونادمته . فبينما انا معه اذا رجل يرتجز حول القبة ويقول :

أنام أم يسمع رب القبّـــة   يا أوهب الناس لعنس صلبه [١]
ضرابة بالمشفر [٢] إلا ذبّـــه   ذات نجاء في يديها جذبه [٣]

فقال النعمان : ابو امامة ! ائذنوا له . فدخل فحيّاه وشرب معه ، ووردت النعم السود ، ولم يكن لأحد من العرب بعير اسود غيره ، ولا يفتحل احد فحلاً اسود . فاستأذنه النابغة في الانشاد فأذن له . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

فانك شمس والملوك كواكبٌ   اذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

فأمر له بمائة ناقة من الابل السود برعاتها . فما حسدت احد قط حسدي له في شعره وجزيل عطائه .

---

(١) لعنس صلبه : وهي الناقة القوية شبهت بالصخرة لصلابتها .
(٢) المشفر : الشفة . والاذبّة جمع ذباب .
(٣) جذبه : حبل من الليف .

– وفود قريش علي سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشه [1] –

نعيم بن حماد قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري قال قال ابن عباس :

لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة . وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم . أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه . فأتاه وفد قريش . فيهم : عبد المطلب بن هاشم ، وأمية ابن عبد شمس ، واسد بن عبد العزّي ، وعبد الله بن جدعان ، فقدموا عليه وهو في قصرهِ يقال له (غمدان) – وله يقول ابو الصلت . والد أمية بن أبي الصلت :

ليطلب الثأر . امثال ابن ذي يـزن ... لجج في البحر للاعـداء احوالا

اتى هرقل وقـد شالت نعامتـه ... فلم يجد عنده القول الذي قالا

ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعـة ... من السنين لقد ابعدت ايغـالا

مَن مِثلُ كسرى وبهرام الجنودله ... ومثل (وهرز)[2] يوم الجيش اذجالا

لله درهم من عصبـة خرجـوا ... ما ان رأينا لهم في الناس امثـالا

صيداً جحا جحةً بيضاً خضارمـةً ... أسُداً تُربّبُ في الغابات اشبـالا

ارسلت أسداً على سود الكلاب فقد ... غادرت اوجههم في الارض افلالا

اشرب هنيئاً عليك التاج مُرتَفِعاً ... في رأس غُمدان داراً منك محلالا

وطلَّ بالمسك اذ شالت نعامتهـم ... وأسبِل اليومَ في بُرُديك اسبالا

تلك المكارِمُ لاقعبان مـن لبـنٍ ... شيبا بماء فعـادا بعد ابوالا

---

(١) العقد الفريد طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) وهرز : قائد فارس .

فطلبوا الأذن عليه ، فأذن لهم ، فدخلوا فوجدوه متضمخاً[*] ، بالعنبر يلمع وبيص[1] المسك في مفرق رأسه ، وعليه بردان اخضران ، قد ائتزر باحدهما وارتدى بالآخر ، وسيفه بين يديه ، والملوك عن يمينه وشماله ، وابناء الملوك والمقاول[2] . فدنا عبد المطلب فأستأذنه في الكلام ، فقال له : قل . فقال : ان الله تعالى ايها الملك أحلك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، باذخاً شامخاً ، وانبتك منبتاً طابت ارومته ، وعزت جرثومته ، ونبل اصله ، وبسق فرعه ، في اكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت (أبيت اللعن) رأس العرب وربيعها الذي به تخصب ، وملكها الذي له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي اليه يلجأ العباد ، سلفك خير سلف ، وانت لنا بعدهم خير خالف ، ولن يهلك من انت خلفه ، ولن يخمل من انت سلفه ، نحن ايها الملك اهل حرم الله وذمّته وسدنة بيته ، اشخصنا اليك الذي انهجاك لكشفك الكرب الذي فدحنا ، فنحن وفد التهنئة (لا وفود المرزئة) . قال : من انت ايها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن اختنا ؟ قال : نعم ، فأدناه وقرّبه ، ثم اقبل عليه وعلى القوم وقال : مرحباً واهلاً ، وناقة ورحلاً ، ومستناخاً سهلاً ، وملكاً ربحلا[3] ، يعطي عطاء جزلاً (فذهبت مثلاً) . وكان أول ما تكلم به : قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم . فأهل الشرف والنباهة أنتم . ولكم القربى ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم قال : ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود ، واجريت عليهم الأموال . فأقاموا ببابه شهراً لا يصلون اليه ، ولا يأذن لهم في الانصراف . ثم انتبه اليهم انتباهة . فدعا بعبد المطلب من بينهم . فخلا به وادنى مجلسه وقال : يا عبد المطلب ، اني مفوض اليك من (سرٍ) على امرٍ لو غيرك لم ابح له به ولكني رأيتك موضعه

(*) متضمخاً : تضمّخ بالطيب أي أكثر منه .

(1) وبيص : بريق .

(2) المقاول : جمع مقول وهو دون الملك .

(3) ربحلاً : عظيماً .

فأطلعناك عليه . فليكن مصوناً حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره : اني اجد في العلم المخزون ، والكتاب المكنون ، الذي ادخرناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة ، للناس كافة . ولرهطك عامة ، ولنفسك خاصة .

قال عبد المطلب : مثلك يا ايها الملك من برّ وسرّ وبَشّرَ . ما هو ؟ فداك أهل الوبر زمراً بعد زمر .

قال ابن ذي يزن : إذا ولد مولود بتهامة بين كتفيه شامة ، كانت له الامامة ، الى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : ابيت اللعن . لقد أُبتُ بخير ما آب به احد . فلولا اجلال الملك لسألته أن يزيدني في البشارة ما ازدادُ به سروراً .

قال ابن ذي يزن : هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد . يموت ابوه وأمه ، ويكفله جده وعمه ، قد ولدناه مراراً ، والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا انصاراً ، يعزّبهم اولياءه ، ويذل بهم اعداءه . ويفتتح كرائم الارض ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، يخمد الأديان ، (ويدحر الشيطان) ويكسر الاوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله حكم وفصل ، وأمره حزم وعدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهي عن المنكر ويبطله .

فقال عبد المطلب : طال عمرك ، ودام ملكك ، وعلا جدك ، وعز فخرك ، فهل الملك يسرني بأن يوضح فيه بعض الايضاح ؟

فقال ابن ذي يزن : والبيت ذي الطنب ، والعلامات والنصب ، انك يا عبد المطلب لجده من غير كذب ، فخرّ عبد المطلب ساجداً .

قال ابن ذي يزن : ارفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا امرك ، فهل احسست شيئاً مما ذكرت لك .

قال عبد المطلب : ايها الملك ، كان لي ابن كنت له محباً ، وعليه حدباً مشفقاً ، فزوجته كريمة من كرائم قومه . يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد

مناف فجاءت بغلام بين كتفيه شامة ، فيه كل ما ذكرت من علامة ، مات ابوه وامه ، وكفلته انا وعمه .

قال ابن ذي يزن : ان الذي قلت لك كما قلت ، فاحفظ ابنك ، واحذر عليه اليهود ، فانهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، إطو ما ذكرت لك ، دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فاني لست آمن ان تدخلهم النفاسة ، من ان تكون لكم الرياسة ، فيبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، وهم فاعلون وابناؤهم ، ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير بيثرب ، دار مهاجره . فاني اجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، ان يثرب دار هجرته ، وبيت نصرته ، ولولا اني اتوقى عليه الافات ، واحذر عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنه امره ، وأوطأت اقدام العرب عقبه ، ولكني صارف ذلك اليك عن غير تقصير مني بمن معك . ثم امر لكل رجل منهم بعشرة أعبده . وعشر إماء سود ، وخمسة ارطال فضة ، وحلتين من حلل اليمن ، وكرش مملوءة عنبراً . وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك . وقال : اذا حال الحول فأنبئني بما يكون من امره .

فما حال الحول حتى مات ابن ذي يزن . فكان عبد المطلب بن هاشم يقول : يا معشر قريش ، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لي ذكره وفخره لعقبي .

فاذا قالوا له : وما ذاك ؟ قال سيظهر بعد حين .... اه

وكذلك اذكر وفد سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه إلى يزدجرد ملك الفرس بحضور قائده الاعظم رستم ورجال بلاطه ووزرائه وكان بينهم النعمان بن مُقَرِّن ، ويسر بن ابي رهم وحَمَلَة بن حويّة ، وحنظلة بن الربيع ، وفرات بن حيّان ، وعديّ بن سهيل ، وعطارد بن حاجب ، والمغيرة بن زرارة بن النبّاش الاسدي ، والاشعث بن قيس ، والحارث بن

حسان . وعاصم بن عمرو ، وعمرو بن معدي كرب ، والمغيرة بن شعبة ، والمعني بن حارثة .

فخرجوا من العسكر فقدموا على يزدجرد وطووا رستم واستأذنوا على يزدجرد فحبسوا وأحضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم .

واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول كلها صهال ، وعليهم البرود وبايديهم السياط ، فأذن لهم واحضر الترجمان وقال له : سلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمن اجل اننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال النعمان بن مقرّن لأصحابه : ان شئتم تكلمت عنكم ، ومن شاء آثرته . فقالوا : بل تكلم . فقال : ان الله رحمنا فارسل الينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ، ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة ، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب ، فبدأ بهم ، فدخلوا معه على وجهين : مكره عليه فاغتبط ، وطائع أتاه فازداد ، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، ثم امرنا ان نبدأ بمن يلينا من الامم فندعوهم إلى الانصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حَسّنَ الحسن وقبّحَ القبيحَ كله ، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزية ، فأن أبيتم فالمناجزة ، فان اجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله واقمنا على ان تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم ، وإلا قاتلناكم .

فتكلم يزدجرد فقال : اني لا أعلم في الأرض أمة كانت اشقى ولا أقل عدداً ولا اسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا أمركم ، ولا تطمعوا ان تقوموا لفارس ، فان كان غرورٌ لحقكم

فلا يغرنكم منا ، وان كان الجهد فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وماكنا عليكم ملكاً يرفق بكم .

فسكتَ القوم ، فقام المغيرة بن زرارة فقال : ايها الملك ان هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم اشراف يستحيون من الاشراف ، وانما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف ، وليس كل ما ارسلوا به قالوه ، ولا كل ما تكلمت به اجابوك عليه فجاوبني لأكون الذي ابلغك وهم يشهدون على ذلك لي ، فأما ما ذكرت من سوء الحال فهي على ما وصفت واشد ، ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسال الله النبيي صلى الله عليه وسلم اليهم نحو قول النعمان وقتال من خالفهم او الجزية ، ثم قال له : اختر ان شئت الجزية عن يد وانت صاغر ، وان شئت فالسيف او تسلم فتنجي نفسك .

فقال : لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي . ثم استدعى بوقر من تراب فقال : احملوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن . ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه اني مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ثم اورده بلادكم حتى اشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور .

فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب وقال : انا اشرفهم . انا سيد هؤلاء ، فحمله على عنقه وخرج إلى راحلته فركبها واخذ التراب وقال لسعد : ابشر فوالله لقد اعطانا الله اقاليد ملكهم .

واشتد ذلك على جلساء الملك . وقال الملك لرستم . وقد حضر عنده من ساباط : ما كنت ارى ان في العرب مثل هؤلاء ، ما انتم بأحسن جواباً منهم ولقد صدقني القوم . لقد وعدوا امرأ ليدركنّه او ليموتُن عليه، على أني وجدت افضلهم احمقهم حيث حمل التراب على رأسه . فقال رستم : ايها الملك انه اعقلهم وتطير إلى ذلك وابصرها دون اصحابه وخرج رستم من عند

الملك غضبان كئيباً وبعث في أثر الوفد وقال لثقته : ان ادركهم الرسول تلافينا أرضنا ، وان اعجزه سلبكم الله أرضكم . فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم ، فقال : ذهب القوم بأرضكم من غير شك ، وكان منجماً كاهناً . اه

وأذكر كذلك من الرسل العربية والإسلامية ما يلي : ـ

وفود عبد المسيح على سطيح والوفود التي وفدت على رسول الله (ص) ومنها وفود همدان ، ووفود النخع ، ووفود كلب ، ووفود ثقيف ، ووفود مذحج ووفود لقيط بن عامر ووفود قيلة ، ووفود نابغة بني جعدة ووفود طهفه بن أبي زهير النهدي . والوفود التي وفدت على عمر بن الخطاب (رض) ومنها وفد جبلة بن الايهم ، والاحنف ، وعمر بن الاهتم. والوفود التي وفدت على معاوية : ومنها وفد الحسين بن علي ، وزيد بن منية ، وعبد العزيز بن زراره . ووفود عبد الله بن جعفر علي يزيد بن معاوية . والوفود التي وفدت على عبد الملك بن مروان ومنها وفد عبد الله بن جعفر ، ووفد الشعبي ، ووفد جرير . ووفد رسول المهلب علي الحجاج بقتل الازارقه. والوفود التي وفدت على عمر بن عبد العزيز ، ومنها وفد جرير عن اهل الحجاز . ووفود دكين الراجز ، ووفود كثير والاحوص ووفود الشعبي والوفود على ابن الزبير . ومنها وفد نابغة بن جعده ، ووفد اهل الكوفة . ووفود العتابي على المأمون . ووفود ابي عثمان المازني على الواثق بالله . والوفود التي وفدت على معاوية . كوفود سوده ابنة عمارة وبكارة الهلالية . ووفود الزرقاء . ووفود ام سنان ابنة خيثمة . ووفود عكرشه بنت الأطرش . ووفد ام الخير بنت الحريش . ووفد اروي بنت عبد المطلب ووفد عمر بن معدي كرب على عمر بن الخطاب ووفود رؤبة على ابي مسلم .

ومن يريد التفاصيل عن اخبار هذه الوفود وما قالته وما قوبلت به فعليه

ان يراجع الجزء الاول من كتاب العقد الفريد طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (ص ٤ – ١٢٣) او كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير طبعة لجنة التأليف والنشر ٤٥٦ وما بعدها .

– وعلى كل حال فقد كان هؤلاء المبعوثون يقومون بمهمات خاصة ينتدبون اليها فاذا ما اتموها رجعوا إلى بلادهم . ولم يعرف العالم (كما يقول المؤرخون تمثيلاً مستديماً قبل تمثيل البابوية في بلاط القسطنطينية وفي قصور ملوك الافرنج في القرن الثاني عشر وقد كان تمثيلاً دينياً ، ثم استعارت هذا النظام من البابوية جمهوريات ايطاليا (وخاصة جمهورية البندقية) التي صارت تتبادل بينها المبعوثين الدائميين في القرن الرابع عشر ثم وسّعته بعد ذلك بينها وبين الدول الاخرى . ثم تبنى الفكرة لويس الحادي عشر فصار يرسل مندوبين دائمين إلى الحكومات الاخرى ويعهد اليهم بمهمة التجسس على الملوك والأمراء والاجانب . ويعزى الاستاذ (لورنس) تأخر تعميم هذا النظام إلى خوف الدول من التجسس وان هذا الخوف كان يحدوها إلى تحديد اقامة المبعوثين الاجانب بالمدة اللازمة لانهاء مهمتهم وهذا ما اتبعه ملك انكلترا هنري السابع فعلاً .

ويظهر ان لهذا الخوف اسباباً حيث يذكر التاريخ بعض الامثلة التي تدل على انحراف بعض السفراء في القرنين السادس عشر والسابع عشر عن مهمتهم في تحسين العلاقات إلى اساءة العلاقات وذلك بتدخلهم في تدبير المؤامرات وخلق الفتن وتلفيق الاكاذيب من أجل تعكير صفاء الاسر المالكة او توسيع الهوة بينهم وبين شعوبهم .

ومن أمثلة ذلك سفير اسبانيا الذي اشترك في مؤامرة على الملكة اليزابيت عام (١٥٨٤) ثم اشتراك سفير فرنسا في مؤامرة على خلع الملكة نفسها وكذلك

سفير اسبانيا الذي اشترك في مؤامرة اختطاف ابن هنري الرابع ملك فرنسا .

ان كل هذه الحوادث وغيرها سببت الخوف والحذر من السفراء . ومع ذلك لم يجرأ احد على معاقبة او محاكمة احد السفراء المذكورين وان اقصى ما نالهم من عقاب هو اعادتهم إلى بلادهم .

وفي القرن السادس عشر بدأت الدول (بعد ان شعرت بفائدة هذا النظام تعقد فيما بينها المعاهدات لتنظيم تمثيل الممثلين رغم معارضة الفقيه (كروشيوس) للفكرة وذلك لأن هذا النظام اصبح من متطلبات عصر النهضة وعصر الاكتشافات الجغرافية والرأسمالية التجارية وتوسع الاسواق العالمية والاتصالات الأخرى .

أما في القرن الثامن عشر فقد اصبح النظام اكثر ضرورة وذلك لحاجة الدول الماسة للاتصال مع بعضها بسبب اكتشاف الفحم الحجري من قبل ابراهام داربي واكتشاف (النول الطائر) من قبل (جون كي) وماكنة الغزل من قبل (آرك رايت) وماكنة النسيج من قبل (كارت رايت) واكتشاف البخار من قبل (جيمس وات) وما تلا ذلك من اختراع القطارات والسفن البخارية مما عمل على توسع التجارة وازدياد اواصر الصلات بين الامم خاصة بعد فتح (قناة السويس) واتصال الشرق بالغرب الذي كان قد بدأ بشكل محدود قبل ذلك على اثر الحروب الصليبية .

ولهذه الاسباب اتفق المؤرخون على ان التمثيل القنصلي هو اقدم من التمثيل الدبلوماسي بمراحل حيث ان مهمة القناصل محصورة في شؤون التبادل التجاري والشؤون الاقتصادية حيثما دعت الحاجة إلى ذلك .

ويقول المؤرخون ان التمثيل القنصلي كان اوغل في القدم من هذا العهد وحتى قبل ان تؤسس العلاقات الدولية حيث كانت الحاجة تدعو تحقيق التبادل بدون التدخل في القوانين القضائية . وقد بُدِىء به منذ

وجدت المعارض والاسواق ولكنه كان تمثيلاً مؤقتاً يدوم بدوام تلك المعارض والاسواق او دائمياً استوجبته حالة وجود عدد كبير من الاجانب في دولة من الدول للخدمة العسكرية او للتجارة او للعمل فكانت الدول لا تعير هؤلاء الاجانب اهتماماً فلا ترضخهم لقوانينها وانظمتها الادارية ومؤسساتها القضائية ، فكان اولئك الاجانب يعيشون اما في اطار نظام خاص بهم او يخضعون لقوانين بلادهم الاصلية التي يطبقها عليهم قناصلهم وكذلك القناصل الذين كانوا يمثلون اوامر ملوكهم او امرائهم الذين اوفدوهم والذين كانوا يديرون شؤون مواطنيهم في ذلك البلد الأجنبي حتى فيما يختص بالامور البوليسية والقضائية وكانوا أحياناً يفرضون عليهم عقوبات صارمة كالابعاد مثلاً وكانوا هم المسؤولين عن النظام العام بين مواطنيهم في البلد الاجنبي وخاصة في البلاد المسيحية التي تقبلت اكثر القوانين والانظمة المشتركة وذلك لوحدة الدين وتشابه الاخلاق والعادات والتقاليد والاعراف فيما بينها .

اما البلاد غير المسيحية فصارت تتبع نظام (الامتيازات) .

وقد صار القناصل بعد هذا الدور موظفين دائمين يمثلون بلادهم في بلاد أجنبية . وصار بعضهم يتمتع بحقوق وواجبات دبلوماسية سياسية بالاضافة إلى واجباتهم التجارية .

– يقسم التمثيل القنصلي إلى قسمين رئيسيين : –

القسم الأول : هم القناصل المبعوثون المسلكيون Missi وهم الذين تبعث بهم الدولة إلى دولة أخرى . وهم اما قناصل عامون او نواب قناصل تنتخبهم حكوماتهم كما تنتخب الممثلين الدبلوماسيين ويعملون تحت مسؤولية رئيس البعثة الدبلوماسي مع انهم مقيدون غالباً بالوزارة المختصة التي يتصل بها اختصاص عملهم (كالقنصل التجاري الذي يراجع وزارة التجارة والقنصل العسكري الذي صار يسمى الملحق العسكري الذي يراجع

وزارة الحربية والقنصل الثقافي والملحق الثقافي الذي يراجع وزارة التربية وهكذا ...) .

القسم الثاني : هم القناصل المنتخبون (illecté) الذين تختـــارهم الدولة من رعاياها او من رعايا الدولة التي يقومون باعمالهم فيها . او من رعايا دولة ثالثة ، وتقتصر اعمالهم على الامور التي يكلفون بالقيام بها وكانت الامتيازات التي يتمتعون بها اقل من الامتيازات التي يتمتع بها القناصل المبعوثون لانهم ليسوا من موظفي الدولة بل بمثابة وكلاء منتخبين وكان لهم ان يقوموا باعمال تجارية او صناعية مهنية او اي اعمال اخرى بالاضافة إلى اعمالهم القنصلية التي تحدد عادة في رعاية مصالح الدولة التي انتخبتهم والعلاقات التجارية والاقتصادية بينها وبين الدولة التي يعملون في بلادها والقيام بشؤون جوازات السفر ومنح السمات للمسافرين والتسهيلات الاخرى وأمور الدعاية .

هذا فيما يختص بالتمثيل القنصلي الذي استوجبته توسع التجارة واتساع الاسواق وتقدم طرق المواصلات وتطورها ووفرة انتاج المواد الاستهلاكية باختراع المكائن وازدياد عدد سكان العالم وكثرة اتصال الدول بعضها ببعض .

ـ أما التمثيل الدبلوماسي فان فكرة الخـــوف من التجسس الـــتي كانت سائدة في القرن السادس عشر بدأت تتضائل وصارت الحاجة تدعو في اوائل ذلك القرن إلى الأخذ به وذلك للأسباب التي يعبر عنها الدكتور محمود سامي جنينة بما يلي :

« ان العائلة الدولية لا يمكنها ان تعيش او أن تنمو إلا إذا كان افرادها على اتصال دائم فيما بينهم للتفاوض وتبادل الآراء لما بين اعضاء العائلة الدولية من روابط متينة .. »

وهذا بطبيعة الحال لا يتم بصورة جيدة وصحيحة بدون تبادل الممثلين الدائميين . فصار بعض علماء القانون الدولي العام في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يقولون ان تبادل الممثلين الدبلوماسيين واجب دولي وان من حق كل دولة ان ترسل ممثلين ومن واجب كل دولة ان تقبلهم بينما كان يرى البعض الآخر ان الأمر ليس واجباً على الدولة المستقبلة صاحبة السيادة فلها ان تسمح بالاتصال بينها وبين الدول الاخرى كما لها ان تمتنع عن هذا الاتصال فالدولة مخيرة وليست مجبرة . فاذا ما اختارت الدولة تأسيس علاقات بينها وبين دولة اخرى فليس لدولة ثالثة او مجموعة دول اخرى ان تضغط عليها او تمنعها من ارسال الدبلوماسيين او على قبولهم .

ولكن الرأي الحديث يخالف ذلك لان علماء القانون الدولي مجمعون على ان الدول لا تستغني عن بعضها البعض وان الاتصال لازم . وانه حق من حقوق الدول ويعتبرون الاتصال بين الدول من اول الواجبات الملقاة على عاتقهم في العصر الحديث لما في ذلك من خير للمجتمع الانساني ، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فقالوا ان الدولة التي تقطع علاقاتها بالدول الاخرى تخرج من العائلة الدولية .

ولكن العالم فوشيل (Fauchille) يعترض على ذلك قائلاً بان الدولة غير مجبرة على قبول الموظفين الدبلوماسيين ويشير إلى حوادث العنف والاكراه التي اتبعت في تطبيق ذلك في موضوع نظرية (الباب المفتوح) في منتصف القرن التاسع عشر عندما اتفقت الدول العظمى على حمل الصين والدول المجاورة على فتح الابواب للتجارة الاجنبية ودخولها في معاهدات حرية التجارة وفتح الاسواق أمام البضائع الاجنبية وتخصيص بعض المحلات لاقامة التجار الاجانب والمحافظة على اموالهم وممتلكاتهم . ولما قامت بعد ذلك ثورة (البوكسر) اتفقت كل من انكلترا وفرنسا والمانيا وروسيا وايطاليا واليابان والولايات المتحدة على اخمادها . وكذلك اتفقت انكلترا

وفرنسا على تطبيق سياسة الباب المفتوح في مراكش ومصر .

وكذلك العالم «اوبنهايم Oppanhein » فانه لا يشير إلى مبدأ اجبار الدول بقبول التمثيل الخارجي الدائم ولكنه يصر على قبول مبدأ تبادل التمثيل الموقت الذي يراه ضرورياً لبقاء الاتصال بين الدول .

وكذلك يقول العالم لورانت (Laurent) في كتابه (القانون المدني الدولي) ويؤيده العالم اسبيرسون (Esperson) وملخص ما يذهبان اليه هو ان الموضوع ليس اجبارياً بل هو اختياري . فالدول ذات السيادة لا يجبرها احد على قبول مبدأ لا تعتقد بلزومه او ضرورته . غير ان جمهرة الفقهاء وكتاب القانون الدولي متفقة على ان الدولة لا تتمكن من رفض ممثل دولة اخرى فاذا خالفت ذلك تكون قد خالفت مبدأ حق التمثيل (جوس ليجاسيونيس) (Jus Legationis) او (حق تأسيس المفوضية) Droit de Légation الذي ينص على حق الدولة في ارسال مفوضين دبلوماسيين إلى بلاد أجنبية وواجب قبولهم من قبل الدولة الاخرى كبولونيا التي ارادت ان ترفض جميع الممثلين الدبلوماسيين في بلادها سنة ١٦٦٠ ، وقبلها دول الاراضي المنخفضة (هولندا) سنة ١٦٥١ التي بقيت مدة طويلة تناقش موضوع الفائدة من التمثيل الدبلوماسي ويرون انه بدون ذلك لا يتم الاعتراف ببلاد دولة جديدة او تجديد الاعتراف بدولة عصفت بها ثورة داخلية بدلت شكل سلطتها العليا ويضربون على ذلك مثلاً اعتراف انكلترا عام ١٩٢٤ بالحكومة السوفياتية التي قامت في روسيا بعد القضاء على القياصرة وبدلت نوع الحكم الذي كان قائماً بحكم اشتراكي فبعد ان اعترفت انكلترا بالحكومة الجديدة توالت الدول الاخرى بالاعتراف بها وهذا الاعتراف اوجب ضرورة تبادل التمثيل الدبلوماسي بين الحكومة السوفياتية الاشتراكية وبينها .

ولذلك اصبح مبدأ التمثيل السياسي الدبلوماسي والقنصلي اليوم مقبولاً

من جميع الدول ولم تبق دولة في عصرنا هذا خارجة على هذه القاعدة ولا نريد ان نعدد الدول التي اعترفت ببعضها البعض او التي جددت اعترافها ببعضها العبض لأن القائمة تتضمن كل دول العالم تقريباً وهي تزداد يوماً بعد يوم بنشوء الدول الجديدة واستقلال الدول الحديثة خاصة في القارة السوداء وعلى من يريد التوسع مراجعة الصفحة ٥٤٢ من كتاب القانون الدولي لمؤلفـــه المعروف « اوبنهايم » ولا نريد من بحثنا هذا سوى تقـــديم لبحثنا في الحصانة الدبلوماسية .

الحصانات الدبلوماسية

ان موضوع نشوء الحصانة الدبلوماسية واسباب اعتراف الدول بها قد بحثه كثير من المؤلفين والمؤرخين والحقوقيين عند بحثهم في القانون الدولي وكلهم مجمعون بان هذه الحصانة ضرورية من اجل استمرار العلاقات الدولية . وانه من الضروري إعفاء الممثل الدبلوماسي من تطبيق القوانين والتشريعات الاقليمية عليه . وان الممثلين الدبلوماسيين لا يتمكنون من القيام بواجباتهم في البلاد الاجنبية بدون ان يتمتعوا بذلك الاعفاء وذلك لان مهامهم وواجباتهم معقدة وانهم كثيراً ما يتنقلون في دول مختلفة تختلف قوانينها المحلية فمن الصعب عليهم معرفة جميع تلك القوانين والاحاطة بكل تلك التشريعات والرضوخ لها في مدد متقاربة فيصبح عندئذ من الصعوبة بمكان ان يؤدوا واجباتهم بسهولة وبصورة صحيحة . وهذا هو سبب نشوء الامتيازات والحصانات التي فرضتها قواعد الآداب السياسية والعرف الدولي على حد قول مونتسكيو Montesquieu وفاتل Vatel ومن المتفق عليه ان المبعوث الدبلوماسي يجب ان يتمتع بالحرية التامة في تصرفاته وان لا تعرقل اعماله اعتراضات ومداخلات قد تولد عقبة في سبيل قيامه بواجباته .

وقد شبه لنا هذه الفكرة أحسن وأبسط تشبيه اللورد تالبوت Talbott عام ١٧٣٧ دفاعاً عن قضية باربيوت Barbuit حيث قال (كما ان الافراد

البعيدين عن بعضهم لا يتمكنون من التفاهم لحسم الخلافات التي بينهم او لتقريب وجهات نظرهم بدون استخدام وسطاء كذلك الدول فانها لا تتمكن من التفاهم وتقريب وجهات النظر بدون الاعتماد على وسطاء وهؤلاء هم الموظفون الدبلوماسيون الذين يجب ان تكون من مميزاتهم الخاصة صيانتهم من التوقيف والمحاكمة ليس فقط من اجل الدول التي يمثلونها) .

ولا يمكن ارجاع منشأ هذه الحصانة إلى اتفاقيات خاصة بين الدول لأن منشأها يعود إلى العرف الدولي الذي ينص على ان الممثلين الدبلوماسيين الذين يمثلون بلادهم في بلاد اجنبية يرضخون إلى قوانين بلادهم ويعفون من اقليمية التشريع الجنائي ويبقون خارج حدود ونطاق التشريعات الجنائية المحلية وان خرق هذه القاعدة المعترف بها من قبل القانون الدولي والاتفاقات الخاصة يرجع صداها السيء على الدولة التي تخترقها بمعاملة ممثليها بنفس المعاملة في البلاد الاخرى .

ولكننا نرى ان وزير خارجية فرنسا (ديكويون) Daiguillion قد ذهب عام ١٧٧٢ إلى غير ذلك الرأي في الجدل الذي دار بينه وبين اعضاء الهيئة الدبلوماسية الأجنبية في باريس بخصوص احد الدبلوماسيين الذي اراد مغادرة فرنسا قبل ان يفي ديونه فمنعه الوزير المذكور من مغادرة البلاد اجابة لطلب الدائنين مما أثار احتجاج الدبلوماسيين الآخرين في باريس ولكن الوزير المشار اليه برر عمله بتقرير ممتع (يمكن الرجوع اليه في الصفحة ٢٤٨ من المجلد الثاني للمؤلف مارتنز Martens وملخص ذلك التقرير هو :

(ان الحصانة الدبلوماسية للسفراء او المفوضين تستند إلى مبدأين هما :

أولاً : سمو الاخلاق التي يجب ان يتحلى بها السفراء .

ثانياً : ان الاعراف الدولية والاتفاقات الاخرى التي اعترفت بالحصانة للموظفين الدبلوماسيين منشؤها تنازل افراد المجتمع فعلى اولئك الموظفين ان يعترفوا بالمقابلة بحقوق اولئك الافراد) .

ولكن الرأي المتفق عليه من قبل جميع فقهاء القانون الدولي هو ان المبعوث الدبلوماسي الذي يرتكب اعمالاً تسيء إلى العلاقات او يخالف قواعد الحقوق العامة وكانت تلك الاعمال مما يعاقب عليها قانون بلاده فان امره يرفع إلى سلطات بلاده بعد تسليمه جواز سفره واخراجه من البلاد .

ففي سنة ١٥٨١ اشترك سفير فرنسا في مؤامرة كانت تهدف قتل الملكة اليزابت ولكنه احتمى بالحصانة الدبلوماسية ، وفي سنة ١٥٨٤ تآمر سفير اسبانيا في لندن على خلع الملكة اليزابت ولكن اكتفى بطرده فقط .

وان السفير الاسباني على عهد هنري الرابع ملك فرنسا عمل على خطف ابن الملك والفرار به إلى اسبانيا ولكن الملك لم يعاقبه .

وفي سنة ١٦٠٣ قتل احد الدبلوماسيين الافرنسيين في لندن موظفاً بريطانياً فحكم على الدبلوماسي الافرنسي بالموت وتسليمه إلى الحكومة البريطانية ولكن الملك جيمس الاول عفا عنه .

ومن الحوادث الهامة حادثة دريفوس المشهور وهي قضية من أخطر القضايا التي عرفها التاريخ في القرن الاخير قضية الضابط اليهودي الصهيوني (الفريد دريفوس) الرائد في الجيش الافرنسي التي اثبتت جميع الأدلة الاجرامية خيانته ومع اعترافه هو نفسه بتلك الخيانة فقد تمكن اخوه (ماتيا دريفوس) مع عصبة جبارة من بني جلدته اليهود من اعادة محاكمته بعد خمس سنوات بعد ان بذلوا قناطير الذهب في الرشوة وابدوا من ضروب الدهاء والحيلة ما حير العقول ثم ظلوا في كر وفر مع القضاء والحكومة والصحافة والرأي العام إلى أن تمكنوا من أمنيتهم . وقد حدث هذا الحادث عام ١٨٨٩ عندما علمت الحكومة الافرنسية ان الملحق العسكري في السفارة الالمانية في باريز وزميله الملحق العسكري الايطالي يقومان بمساعدة الضابط دريفوس بمساع منظمة للتجسس عن حالة الجيش

الافرنسي والمعدات الحربية وحالة الحصون الافرنسية وقد تأكدت الحكومة الافرنسية من ذلك رغم ما قام بـه السفير الالماني (البـارون دي مونستر) من دفاع عن ملحقه العسكري ولكن فرنسا لم تتمكن من اتخاذ اي اجراء نحوه او نحو ملحقه العسكري حتى ولا طردهما او طلب سحبهما من قبل الحكومة الالمانية خوفاً من اندلاع نار الحرب بينها وبين المانيا .

وفي سنة ١٦١٨ ثبت ان سفير اسبانيا في فينيسيا اشترك في مؤامرة لحرق المدينة وقتل النبلاء وقلب نظام الحكم ولكن الحكومة اكتفت باعادته إلى اسبانيا .

وأتهم سفير اسبانيا دوق بكنجهام بالتآمر على الملك جيمس الاول ولكن الملك عندما ثبت له كذب هذه التهمة وانها افتراء بحت لم يفعل اكثر من ان يعيد إلى السفير اوراقه ويطلب اليه مغادرة البلاد تفادياً لكل قيل وقال.

ومن الامثلة الحديثة لما يقوم به الملحقون العسكريون ما قام به الملحقون العسكريون للسفارات المصرية على عهد الرئيس جمال عبد الناصر في مختلف البلاد العربية والاسلامية من مؤامرات في العراق والاردن والسعودية والسودان وليبيا ولكن حكومات هذه البلاد اكتفت بطردهم من بلادها بعد ثبوت التهم عليهم .

لقد اصبح مقرراً ان من حق الدولة ان تقبض على الممثل الدبلوماسي عندما تضبطه متلبساً في جريمة سياسية او غير سياسية حفظاً لسلامتها وسلامة رعاياها ولكنها لا تحاكمه بل ترجع اليه جواز سفره وتطلب اليه مغادرة البلاد وتطالب حكومته بمحاكمته عما اقترف من ذنب . ويذكر التاريخ امثلة عديدة عن هذا الموضوع منها ان انكلترا قبضت عام ١٧١٧ على سفير السويد في حالة تلبس خطيرة لم تكن تحتمل تأجيل النظر في الأمر إلى أن يتم امر استعادته إلى بلاده وذلك لانه كان يتآمر على خلع الملك جورج الاول . وفي عام ١٧١٨ قبضت فرنسا على سفير اسبانيا لاشتراكه في

مؤامرة كان القصد منها اعلان ملك اسبانيا وصياً على عرش فرنسا . ولكن السفيرين المذكورين لم يحاكما ولم يعاقبا عن الحادثين المذكورين وكانت الغاية من توقيفهما منع الممثلين الدبلوماسيين من انتهاك حرمة القوانين المحلية والدفاع عن كيان البلاد وسيادتها بانتظار معاملات طردهم او طلب استعادتهم من قبل حكوماتهم ، وهذه الاجراءات من شأنها تحقيق الغرض الاصلي الذي من اجله وجدت الحصانات الدبلوماسية فيما اذا تجنب الممثل الدبلوماسي الطريق الصحيح في رعاية حقوق الصداقة بين دولته والدولة المعتمد لديها .

وكما أن من حق الدولة ان تطرد الممثل الدبلوماسي الذي يسبب بسوء تصرفه الاخلال بالعلاقات الحسنة بين دولته والدولة المعتمد لديها فان من حقها أيضاً ان تطلب من دولته استدعاءه ومثال ذلك طلب الولايات المتحدة إلى النمسا والمجر استعادة ممثلها الدكتور (دامبا) Damba اثناء قيام الحرب العظمى الاولى لانه خالف الاصول الدبلوماسية بأن كلف احد الرعايا الاميركيين بحمل رسالة إلى النمسا يقترح فيها تحريض العمال في مصانع الذخيرة في اميركا على الاضراب في الوقت الذي كانت فيه اميركا لا تزال على الحياد .

كذلك منح القانون الدولي الحق للدولة المستقبلة ان ترفض قبول ممثل دبلوماسي لدولة اخرى اذا وجدت لديها من الاسباب ما يمنع قبوله . ومن امثلة ذلك رفض النمسا عام ١٨٨٥ قبول الممثل الدبلوماسي للولايات المتحدة الاميركية لان زوجته كانت يهودية وكان عقد زواجه بها مدنياً لا دينياً وكذلك رفض ايطاليا لممثل دبلوماسي اميركي لسابق صدور احتجاج منه على ضم ايطاليا لأملاك البابا . هذا ولا يشترط على الدولة التي تمتنع عن قبول الممثل الدبلوماسي ان تبدي اسباب الرفض ولكنه من البديهي ادبياً ان كرامة الدولة المرسلة تمس وتتأثر عندما لا تحصل الموافقة على قبول ممثلها المقترح ولذلك اعتبرت الولايات المتحدة الاميركية ما فعلته النمسا من

رفض ممثلها اهانة لها ولذلك امتنعت لسنوات عديدة عن ارسال من يخلفه .

كذلك جرت العادة ان ترفض الدولة قبول الممثل الدبلوماسي المرسل اليها من قبل دولة اخرى فيما اذا كان من رعاياها هي ولذلك وحلا لكل هذه المشاكل فقد جرت العادة ان يحدث تشاور وتبادل وجهات النظر بين الدول قبل صدور امر تعيين الممثلين الدبلوماسيين بصورة نهائية .

– (امتيازات الممثل الدبلوماسي واعفاؤه من اقليمية التشريع الجنائي ومن الخضوع للقضاء المدني) .

يعفى الممثل الدبلوماسي من الخضوع للقضاء الجنائي والمدني في الدولة التي يقوم فيها بواجباته فلا تجوز مقاضاته امام محاكمها ولا يجوز القبض عليه ومحاكمته ومعاقبته بموجب قوانين تلك الدولة وليس له ان يتنازل عن هذا الحق بدون موافقة حكومته ولكنه مع ذلك اذا وافق من تلقاء نفسه بأن يقاضى أمام القضاء المحلي ولو بدون ترخيص من حكومته فانه يكون خاضعاً لذلك القضاء وعليه ان يقبل بحكمه .

ولا يجوز اكراه الممثلين الدبلوماسيين على أداء الشهادة امام محاكم الدولة المعتمدين لديها ومع هذا فقد جرى العرف الدبلوماسي بأن يؤدي الممثل الدبلوماسي الشهادة بعد أن يستأذن حكومته اذا وجد أن في هذا مصلحة لاحقاق حق وازهاق باطل . ففي عام ١٨٨١ حضر وزير فنزويلا المفوض في اميركا وأدى شهادته في جلسة علنية اثناء محاكمة قاتل جيمس جارفيلد غير أن الممثلين الدبلوماسيين في الغالب يفضلون اداء الشهادة في سفاراتهم .

وقد حدث في سنة ١٨٥٦ ان وزير هولندة في واشنطن كان شاهداً ذا تأثير في حادثة قتل ولكنه امتنع عن أداء الشهادة ليس في المحكمة بل حتى في دار السفارة ولم تجبره حكومته على ادائها وكذلك الحكومة الاميركية لم

تتمكن على اجباره ولكنها بعد ذلك طلبت من حكومته استدعاءه لأنه لم يتصف بصفات العدالة التي اخفى حقائقها .

ويجدر بنا أن نذكر بان إعفاء الممثلين الدبلوماسيين من تطبيق القوانين المحلية عليهم لا يعفيهم من العقاب والحساب والمحاكمة بل أن الحكومة تطالب من حكوماتهم استدعاءهم لمحاكمتهم في بلادهم وتطبيق قوانينها عليهـــم .

التزامات الدولة بحماية الممثلين الدبلوماسيين

لقد اعترف أغلب المشتغلين في حقل القانون الدولي بأن الحصانة القانونية يجب ان تشمل الممثلين الدبلوماسيين وهذه الحصانة هي الضمان المطلق لهم وهي تتمثل في حق الحماية الشديدة الحرص والاكثر فعالية ، كما وصفها برادية فودريي Bradier Foderé وهو يقول ايضاً بأن الحكومة يجب أن تحمي جميع الاشخاص الموجودين الذين يعيشون في بلادها وطنيين كانوا ام اجانب ولكن هذا الواجب يكون أكثر اهمية واوسع شمولا واشد فعالية على من يمثلون الدول الأجنبية . ولا جديد في هذا المبدأ ما دامت الدولة مسؤولة عن حماية جميع الافراد فكم هي ملزمة بحماية الاجانب (الضيوف) الموجودين في بلادها .

ان درجة رقيها ومدنيتها تتناسب تناسباً طردياً مع درجة اهتمامها بضيوفها وبالمحافظة على نصوص القانون الدولي والعرف الدبلوماسي . وقد جاء هذا البحث بصورة واضحة ومفصلة في الصفحة ٤٩٤ من المجلد الثاني من كتاب (تاريخ القانون وشعوب اوربا). World Foundation and History of the Law of Nations in Europe الذي كتب عام ١٧٩٥ فقد جاء فيه (ولكن هذه الحصانة تشمل حماية اكمل من الحماية اللازمة للمواطنين) ،

وذلك لأن السفير لا يفرض فيه معرفة قانون الدولة المعتمد لديها ولا يلزم بالرضوخ له لأنه لم يذهب إلى تلك الدولة لغاية شخصية كالمتاجرة او للسياحة والتسلية وانما ذهب اليها ليمثل غيره فله نفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها امثاله من الدبلوماسيين الاجانب في بلاده وهكذا حصل الاتفاق بين الدول على المعاملة بالمثل وذلك لتسهيل تسوية الشؤون العالمية المشتركة وان هذه الغاية يصعب التوصل اليها وانجاحها اذا اعتبر الممثل الدبلوماسي كشخص اعتيادي من المواطنين الذين لا يتمتعون الا بحماية القوانين الاعتيادية مما لا يجوز تسميته حماية . فيجب اذن احاطة الممثل الدبلوماسي بقدسية خاصة لا يتمتع بها غيره من المواطنين وتتلخص هذه الحماية في الامور الثلاثة التالية : —

١ — واجب الدولة الامتناع عن كل عمل يضر الممثل الدبلوماسي .

٢ — واجب الدولة منع كل ضرر يحدثه الاهالي بالممثل الدبلوماسي .

٣ — واجب الدولة معاقبة من يسبب ضرراً للممثل الدبلوماسي .

والآن علينا ان نلقي ضوءاً تفصيلياً على كل واجب من الواجبات الثلاثة المذكورة .

١ — واجب الدولة الامتناع عن كل عمل يضر بالممثل الدبلوماسي :

ان من المعترف به دولياً أن الدولة التي تسبب ضرراً للممثل الدبلوماسي الذي اعترفت به امر غير مألوف وغير مقبول ويسبب لها مشاكل هي في غنى عنها ويحتم عليها العرف الدولي تقديم ترضية تقبلها دولة الممثل ولا يمكن تحديد تلك الترضية مقدماً لانها تختلف باختلاف الاحوال والحوادث وتتناسب مع مبلغ الضرر الذي اصيب به الممثل خصوصاً اذا كانت الدولة لا تتمكن من تبرير عملها الذي أضر بالممثل فعليها في مثل هذه الحالة ان تقدم ترضية مناسبة . ومع أن من النادر أن تتعمد الدولة الاضرار بالممثلين

الدبلوماسيين فان التاريخ يذكر حوادث كثيرة من هذا النوع استوجبت مراسلات ومحادثات طويلة إلى أن وجد لها حل ودّي مناسب ولا بأس علينا اذا تطرقنا إلى ذكر بعض تلك الحوادث للتوضيح ولهذا نقول ان حوادث ثورة البوكسر التي حدثت في الصين عام ١٨٩٠ تعطينا مثلاً واضحاً عن عدم قيام حكومة الصين بواجبات الترضية نحو الدبلوماسيين الاجانب المعتمدين لديها .

فقد حدث ان قُتل السفير الالماني هناك بينما كان ذاهباً إلى بكين من قبل جنود نظاميين تحت قيادة ضباطهم وبعد ذلك احيطت مساكن الدبلوماسيين بالجند الصيني وتحت حراسة الجيش عدة اسابيع فانقطعت العلاقات بين الصين والدول الاخرى إلى أن وقّعت الصين بروتوكول ٧ ايلول ١٩٠١ الذي قرر فرض الترضية عليها .

ومن الحوادث التي يذكرها التاريخ الدبلوماسي حادث الاهانة التي الحقها حسين باشا داى الجزائر بالقنصل الافرنسي العام المسيو دوفال Deval عام ١٨٢٧ التي كانت من جملة الاسباب الظاهرية والحجج المفتعلة للاسراع في غزو الجزائر من قبل الجيوش الافرنسية من البر من حدود مراكش ومن البحر باساطيلهم الاستعمارية عام ١٩٣٠ .

وكذلك يذكر التاريخ حادث اهانة الشرطي العثماني للملحق البحري اليوناني في شباط ١٩١٥ في ميناء (بيره) ومع ان الحكومة العثمانية قدمت ترضية ولكن الحكومة اليونانية لم تقتنع بها وطلبت ان تكون الترضية بالشكل الآتي : —

١ — ان يزور القائد العثماني في مدينة (بيره) الوزير المفوض اليوناني رسمياً في المفوضية ويقدم له الاعتذار امام موظفي المفوضية .

٢ — ان يعزل الشرطي المذنب ويقدم للمحكمة ليعاقب على ذنبه .

٣ – ان تنشر الحكومة العثمانية بياناً تعترف فيه بالتقصير وتعلن فيه تقديم الاعتذار . ولقد ترددت الحكومة العثمانية بادىء ذي بدء ولكنها اخيراً ارغمت على قبول الشروط بعد ان سحبت اليونان سفيرها في استنبول .

٢ : – واجب الدولة منع كل ضرر يحدثه الأفراد بالممثلين الدبلوماسيين

لا جدل في ان من واجب الدولة منع المواطنين من الحاق الضرر بالممثلين الدبلوماسيين فيما اذا كان هؤلاء الدبلوماسيين قد قدموا اوراق اعتمادهم او صار للدولة علم بوصولهم اراضيها . ومع ذلك فقد ثارت بعض الخلافات بين الدول في هذا الموضوع :

منها الخلاف الذي حدث بين سويسرا والحكومة السوفياتية على اثر مقتل (فوروسوكي) المراقب السوفياتي في مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ وذلك عندما وصل المراقب المذكور بدون ان تعلم الحكومة السويسرية بوصوله بصورة رسمية لكي تأخذ التدابير الكفيلة لحمايته فقتل في لوزان من قبل مواطن سويسري يدعى (كونرادي) الذي عاش في روسيا اثناء الثورة الاشتراكية . ومع ان سويسرا قدمت اسفها وتعازيها إلى البعثة الدبلوماسية السوفياتية في لوزان فان الحكومة السوفياتية لم تكتف بهذا . وعندما برأت المحاكم السويسرية ساحة (كونرادي) لعدم توفر الادلة ضده قامت قائمة الحكومة السوفياتية وحرمت دخول الرعايا السويسريين إلى روسيا ومنعت استيراد البضائع السويسرية فانقطعت العلاقات بين الدولتين . وظلت الحكومة السويسرية مصرة على رأيها بكونها لم تكن ملزمة على اتخاذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على حياة ممثل دبلوماسي لم تخبر بوصوله بلادها وعلى ان القضاء السويسري حر فاذا ما اصدر حكمه ببراءة المتهم فليس في ذلك ذنب على الحكومة . ولكن الحكومة السوفياتية لم تقتنع بهذا

وظلت مصرة على رأيها بلزوم حماية ممثليها ولو لم تخبر عنهم بصورة رسمية .

وفي شباط عام ١٩٢٦ اغتيل حامل بريد سوفياتي في القطار السريع بين (موسكو وريغا) عندما كان القطار ماراً في الاراضي اللتوانية وكانت الظواهر كلها قد دلت على ان الجرم لم يكن عادياً بل سياسياً رغم ان الحقائب السياسية لم تمس . وبالرغم من اعتذار الحكومة اللتوانية إلى الممثل السوفياتي في (ريغا) وابراقها معزية إلى موسكو . فان القائم بالاعمال السوفياتي وجه إلى الحكومة اللتوانية مذكرة احتجاج شديدة اللهجة . قال فيها بأن ليتوانية يجب ان تتحمل تبعة الجريمة لأنها لم تتخذ الاجراءات اللازمة والاحتياطات الضرورية لحماية البريد السياسي ورجاله وحامليه .

ومن الحوادث التاريخية المهمة في تاريخ العرب الحديث في هذا الباب ما حدث في العراق عندما قتل القنصل البريطاني في (الموصل) اثناء المظاهرات التي حدثت هناك اثر وفاة المرحوم الملك غازي . وخلاصة الحادث .

ان جلالة المرحوم الملك غازي كان قد توفي في حادث اصطدام سيارته بعمود من اعمدة الكهرباء وكانت سيارته مفتوحة وكان يسوقها بنفسه بسرعة فائقة فوقع العمود على رأسه فاودى بحياته عام ١٩٣٩ .

ولكن حادث اصطدام جلالة المرحوم الملك نقل بشكل مشوه إلى خارج بغداد . فاعتقد الكثيرون من ابناء الشعب خارج العاصمة في الالوية الاخرى بأن جلالة الملك قتل بتحريض من الانكليز بناء على تحمسه للوحدة العربية ولمطالبته بالاتحاد مع الكويت . فقامت المظاهرات الصاخبة في كل مكان ومنها مظاهرات كبيرة قامت في الموصل امام دار القنصلية البريطانية هناك فأراد القنصل البريطاني تقديم التعازي إلى المتظاهرين وما كاد يظهر

على الشرفة الا وانهال عليه بعضهم بالعصي والهراوات فذهب مأسوفاً عليه ضحية حسن نيته وتسرعه .

ولكن الحكومة العراقية اتخذت اثر ذلك اجراءات مشددة فأحالت إلى المحاكم من اشتبهت به وحكمت على الكثيرين بمختلف الاحكام وكان من بين المحكومين الطالب هشام الدباغ الذي حكمت عليه المحكمة بالسجن عشر سنوات (درس الحقوق بعد اطلاق سراحه وصار محامياً) .

ولا يقتصر واجب الحكومات على محافظة ارواح الممثلين الدبلوماسيين فقط بل يجب عليها ايضاً محافظة ممتلكاتهم والاثاث الموجود في داخلها من اي اعتداء قد تتعرض له . ويذكر التاريخ عمل الحكومة السويسرية عام ١٩١٨ حيث وضعت دار المفوضية الروسية في مدينة (برن) بما احتوته من اثاث ومستندات تحت الحماية بعد ان ختمتها بالشمع الاحمر وحافظت عليها محافظة تامة وقد وجدت بعد ذلك سالمة لم يمسها احد بسوء . وكذلك يذكر التاريخ ما قامت به الحكومة العراقية أثناء الحرب التي دارت بين العراق وبريطانيا عام ١٩٤١ على عهد وزارة المرحوم رشيد عالي الكيلاني فان الجيش العراقي حافظ على الاثاث والمواد المنقولة داخل مساكن البريطانيين والاجانب الآخرين الذين كانوا موظفين في الادارة او الجيش عندما خرجوا من البلاد . وعندما عادوا بعد ذلك وجدوا كل شيء كما تركوه . وكذلك فقد حرست الشرطة العراقية دار السفارة البريطانية في مايس ١٩٤٨ أثناء انتفاضة الشعب العراقي على معاهدة بورت سموث (صالح جبر – بفن) من اعتداء جمهور من اعضاء حزب التحرر اليهودي الصهيوني برئاسة الفوضوي الصهيوني (شاؤول طويق) عندما قرر ذلك الجمهور مهاجمة السفارة البريطانية فمنعتهم الشرطة فلم يمتنعوا بل حاولوا الصعود على السياج التابع للسفارة فاطلق عليهم الرصاص وقد شاهدت بنفسي تلك الحادثة التي ذهب ضحيتها شاوول طويق بصلية رشاش

اصابته في صدره فتناولت قلبه كما اصيب في التظاهرة اخوان له آخرين باصابات مختلفة وقد اثبت التحقيق انهم كانوا مسخرين من قبل اسرائيل وعملائها لبث الفوضى في البلاد وايقاد نار الفتنة بين العراق وبريطانيا .

٣ ـ واجب الدولة معاقبة الافراد الذين يلحقون ضرراً بالممثلين الدبلوماسيين

من المبادىء العامة المعترف بها بين الدول معاقبة من يعتدي على أعضاء البعثات الدبلوماسية بالعقاب الذي يناسب جرمه .

وقد نصت القوانين المحلية في كثير من الشرائع على معاقبة من يسبب اعتداءً على الممثلين الدبلوماسيين ، ومثال ذلك ما جاء في تعديل قانون الولايات المتحدة الاميركية الذي نص على ما يلي (كل شخص يضرب او يجرح او يسجن سفيراً او ممثلاً دبلوماسياً او يهجم عليه او يقابله بالعنف والشدة يعاقب بما لا يقل عن ثلاث سنوات سجناً او ما يعادلها من غرامة) كما نص قانون عام (١٦٥١) لهولندا على (معاقبة كل شخص يلحق ضرراً بالفعل او بالقول او بالاشارة مستهزئاً بالسفراء او المفوضين المقيمين والدبلوماسيين او وزراء الملوك او مبعوثيهم او مبعوثي رؤساء الجمهوريات او الحاق الضرر بصورة مباشرة او غير مباشرة بهم او باتباعهم وخدمهم او بيوتهم وعرباتهم كما يعاقب المجرمون الذين يخلون بحقوق الاشخاص الآخرين والمشاغبون الذين يقلقون الراحة العامة .

يقول الاستاذ براديه فودرير Bradier Foderer (بأن القوانين التي نشرت في بروسيا عام ١٨٥١ وفي بلجيكيا في ١٢ مارت ١٨٥٨ وقبل ذلك في القانون السارديني ٢٦ مارت ١٨٤١ كلها تتضمن نفس المعاني .

اما انكلترا فلم يكن لها قانون خاص يعاقب المعتدين على المبعوثين

الدبلوماسيين او الذين يعتدون عليهم ويختطفونهم ولذلك فعندما اوقف السفير الروس المسيو (ماتيوف) عام ١٧٠٩ على عهد الملكة (آن) بسبب ديونه حدث خلاف شديد بين انكلترا وبين بطرس الاكبر لان قوانين انكلترا كانت تقضي بتوقيف المدين .

وهكذا فقد كانت ممالك واقطار عديدة بدون قوانين خاصة بمعاقبة المعتدين على الممثلين الدبلوماسيين . اما اليوم فان معظم الدول بل كلها فيها مثل هذه القوانين واذا كانت بعض الدول ليس فيها قانون خاص فانها نصت في قوانينها الجنائية على معاقبة المعتدين على الدبلوماسيين ببنود وفقرات ومواد خاصة وفي العراق سنّنا قانوناً خاصاً اسميناه (قانون امتيازات الممثلين الدبلوماسيين لعام ١٩٣٥) .

ويجب ان لا يفهم من هذا بأن الحكومة التي ليس في تشريعاتها قانون خاص يحمي الدبلوماسيين بانها تقبل او تبرر الاعتداء عليهم او تتغاضى عنه لان الحكومات ليست مجبرة على سن قانون خاص بهذا المعنى ما دامت قوانينها الجنائية الاخرى تنص على معاقبة امثال هؤلاء المجرمين ، ففي مثل هذه الحالة يجب ان تكتفي حكومة الدبلوماسي المعتدى عليه بالعقاب الذي تنص عليه تلك القوانين حتى ولو كان اخف من العقاب الذي قد يناله في البلاد التي ينتمي اليها ذلك الدبلوماسي ومما يجدر ذكره هنا ما حدث لاحد المواطنين الاميركيين المدعو (اورتيكا) فقد اعتدى هذا على القائم بالاعمال الاسباني فحكمت عليه احدى محاكم بنسلفانيا الاميركية الاعتيادية بحكم مناسب. ولكن حكومة اسبانيا لم يرضها ذلك الحكم فطلبت احالة القضية إلى محكمة اعلى وقد وافقت الحكومة الاميركية على ذلك فنظرت المحكمة الأخرى في الموضوع بصفتها الاستئنافية فقررت تصديق نفس الحكم وجاء في قرار الاستئناف ما يلي (ان المحكمة الاولى قد نظرت في القضية وفق اختصاصها

وطبقت القانون على نوع الجريمة بصرف النظر عن الشخص حسب قانون حقوق الافراد وان المجرم قد نال العقاب الذي نص عليه ذلك القانون) .

٤ – واجب الهيئات الدبلوماسية ان تحتج بصورة جماعية على الحكومة المحلية فيما اذا اهين أحد أفراد الهيئة الدبلوماسية .

لقد جرى العرف الدولي على اعتبار الاهانة التي تلحق باحد افراد الهيئة الدبلوماسية في دولة ما كأنها واقعة على مجموع افراد الهيئة الدبلوماسية في تلك الدولة فصار بناء على ذلك للهيئات الدبلوماسية ان تحتج مجتمعة لدى سلطات تلك الدولة اذا تأخرت عن القيام بما يفرضه عليها واجبها ومسؤولياتها وان امثال هذه الاهانات وان كانت قد اصبحت نادرة الحدوث الآن فانها قد حدثت في الماضي ومن امثلة ذلك كثيراً احتجاج الهيئات الدبلوماسية مجتمعة لدى الحكومة البريطانية في حادث الاعتداء على المسيو (ماتيوف) السفير الروسي في لندن عام ١٧٠٩ طالبين من البرلمان البريطاني ان يضع تشريعاً يحدد فيه مثل هذه الاعمال في المستقبل باعتبار ان ما يحدث لاحدهم قد يحدث لغيره في حالة عدم وجود تشريع يكفل حمايتهم .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد احتجاجات الهيئات الدبلوماسية العربية المتكررة لدى هيئة الامم على الحكومة الاميركية (بصورة جماعية) على اعتداءات الصهاينة عملاء اسرائيل العنصرية على اعمال العنف التي قاموا بها ضد مكاتب بعضها تلو البعض او على اعضاء هيئاتها الدبلوماسية وكذلك احتجاجات الدول الاشتراكية والدول الافريقية ودول عدم الانحياز على اعمال العنف التي صادفتها في نيويورك من قبل الصهاينة او بعض الارهابيين في اميركا .

٥ – وجوب حماية مراكز السفارات والمفوضيات ودور سكنى الدبلوماسيين

لقد نص القانون والعرف الدوليان على وجوب حماية مراكز السفارات والمفوضيات ومكاتب الدبلوماسيين ومساكنهم وجميع الاماكن الاخرى التي يقومون فيها بواجباتهم الدبلوماسية . فلا يجوز مثلاً للسلطات المحلية ان تدخلها بدون اذنهم لانها تعتبر كجزء لا يتجزأ من ارض الدول التي يمثلونها كما قال مونتسكيو : (ان الممثل الدبلوماسي قوله من قول الامير الذي يرسله وذلك القول يجب ان يكون حراً . ولأجل القيام بمهمته يجب ان يكون بعيداً عن كل تأثير للسلطات المحلية عليه . ولأجل توضيح هذا فانه (اعتبر وهو ساكن خارج بلاده كأنه ساكن في بلاده) او (كأنه ساكن في داره التي نقلها من موطنه الاصلي) ولذلك يمنع كل ما يمس هذه الدار ويمنع حتى لصق التبليغات والاعلانات واللافتات والشعارات والنشرات ومنشورات الدعاية على جدرانها وابوابها . وقد اصدرت المحكمة الافرنسية عام ١٨٣٠ قراراً يقضي بمعاقبة كل مبلغ محكمة يقوم بمثل هذه الاعمال لأن (هذا التبليغ يمس بالاحترام الواجب للمثلين الدبلوماسيين) .

٦ – منع تهجم الصحافة على الدبلوماسيين

ان تهجم الصحافة ومساسها بالممثلين الدبلوماسيين هو مصدر من مصادر مشكلات كثيرة بين الدول وليس هناك أية صعوبة في مراقبة الجرائد الحكومية او التي تعود مراقبتها للحكومة فهذه تتحاشى عادة المساس بشخص الممثلين الدبلوماسيين او حكوماتهم .

ويذكر التاريخ انه في عام ١٨٥٩ وجهت احدى صحف حكومة (بيرو) انتقاداً لاحد الممثلين الدبلوماسيين في العاصمة (ليما) مما أدى

بحكومة بيرو أن تطرد المدير المسؤول للجريدة وان تقدم اعتذاراً نشر في جميع الجرائد المحلية .

ولكن الجرائد في كثير من البلاد تتمتع بحرية يصعب معها تدخل الحكومة بشؤونها الخاصة في الاحوال الاعتيادية فاذا كان المقال لا يستوجب عقاباً قانونياً فان الحكومة يصعب عليها التدخل إلا بطريقة غير مباشرة وشخصية بارشاد الصحافة على ان تكون متزنة في سلوكها مع الممثلين الدبلوماسيين واليوم صار الممثلون الدبلوماسيون يعترفون بان الدول تحترم حرية الصحافة وهي غير مسؤولة لحد ما عن الانتقادات التي توجهها الصحافة نحوهم او ضد حكوماتهم . ومع ذلك ففي بعض البلاد قوانين خاصة تنص على معاقبة الجرائد التي تمس شرف الدبلوماسيين المادتان ١٧ و ١٩ من القانون الافرنسي لعام ١٨١٩) .

وقد يحدث ان يكون الرأي العام في حالة تهيج ضد ممثل دبلوماسي ما لدولة من الدول أو ضد دولته فيكون موقف الحكومة المحلية اكثر حراجة من موقفها في الحالات الاعتيادية ويكون واجبها آنذاك اكثر دقة . ومثال ذلك (حالة الرأي العام في سويسرا أثناء الحرب العامة الاولى) حيث كان منقسماً إلى قسمين : قسم مع الالمان وقسم مع الحلفاء وكانت الجرائد والمضابط والنشرات توجه انتقادات لاذعة للسفير الالماني وملحقه العسكري . ولذلك اضطر المجلس الاتحادي السويسري إلى اصدار مرسوم يمنع ذلك منعاً باتاً ويعاقب المخالف عقاباً شديداً .

٧ ــ نطاق حماية الممثلين الدبلوماسيين

لقد اتفقت الآراء بأن حصانات الممثل الدبلوماسي وحمايته تبدأ من يوم تقديم اوراق اعتماده إلى رئيس الدولة او إلى وزير الخارجية . ولكن

المتعارف عليه انها تبدأ قبل ذلك (على سبيل المجاملة) من يوم دخوله حدود البلاد التي سيمثل دولته فيها بل وتتعدى ذلك إلى حدود البلاد التي يمر فيها أثناء سفره . وانها تنتهي بانتهاء مدته او بطلب استدعائه او بطرده وتسليمه اوراقه وجواز سفره. وقد تنتهي هذه الحماية عندما يظهر الممثل الدبلوماسي بالمظهر الذي لا يليق بالمهمة السامية التي انتدب للقيام بها . وهنا يجب اولاً اخطاره او تنبيهه ولا تكون الحكومة مسؤولة بعد ذلك عن الاهانات التي توجه اليه بنتيجة تصرفاته بعد انذاره .

٨ ـ واجب الممثلين الدبلوماسيين احترام نصائح الحكومة

من الامور المنطقية والمعقولة ان يتحاشى الموظف الدبلوماسي كل عمل يؤدي إلى استياء الحكومة المحلية منه وان يحترم نصائحها .

وقد حدث في عام ١٦٦١ خلاف شديد بين سفيري اسبانيا وفرنسا في لندن قبيل حفلة استقبال سفير (فينيسيا) وكان كل منهما قد أحضر بعض الرجال المسلحين ليركبوا معه في عربته ليسبق عربة زميله الآخر في الاستقبال. ولما علمت الحكومة البريطانية بالامر اصدرت بياناً إلى جميع السفراء رجتهم فيه بأن لا يحضروا الحفلة بالعربات بل مشياً على الاقدام (تحاشياً لوقوع اي نزاع مسلح بين اتباع السفيرين) .

فامتثل السفير الافرنسي لذلك الرجاء ولكن ملكه لويس الرابع عشر غضب عليه بحجة انه عليه ان يطيع الاوامر التي تصدر اليه من ملكه فقط وليس من الحكومة البريطانية ولم يتنازل لويس الرابع عشر عن رأيه إلا بعد افهامه بأن ما صدر عن الحكومة البريطانية لم يكن أمراً بل كان رجاءً . ومثل هذا الحادث لا يقع في زماننا هذا لان الدبلوماسيين اعتادوا على قبول الرجاء والنصح باعتباره يقدم من أجل سلامتهم وحفظاً للنظام .

٩ ـ حماية الاموال المنقولة

من واجب الحكومات حماية الاموال المنقولة للممثل الدبلوماسي (كالاثاث والملابس والكتب والاوراق والاسهم وحسابات الدراهم المودعة في البنوك وما يلحقها من فوائد فتقوم الحكومة بحماية كل ذلك حتى أثناء غياب الممثل الدبلوماسي (لأي سبب من الاسباب) حتى يعود من غيابه وإذا لم يعد فيصفى الحساب مع حكومته بدون اقتطاع أي ثمن عن تلك الحماية مع العلم ان بعض الفقهاء يقولون بأن الحكومة غير مسؤولة عن المحافظة على دراهم الممثل الدبلوماسي وعلى سنداته وامواله التي لا علاقة لها بوظيفته .

ولكن مع ذلك فقد حدث لعضوين من اعضاء المفوضية الفرنسية في (اوروغواي) ان امتنع احد المصارف عن دفع حسابهما المودع عنده وذلك لعجز مالي أصاب البنك ولكنهما رفعا الأمر إلى المحكمة العليا في البلاد فاصدرت قراراً لصالحهما ويتلخص فيما يلي « بناء على الامتيازات المالية المعمول بها في جميع الدول فلا يجوز حجز أموال وودائع الممثلين الدبلوماسيين في المصارف او غيرها » .

١٠ ـ اختلاف الفقهاء في شمول الحصانة الدبلوماسية

اختلاف فقهاء القانون الدولي كما اختلفت الآراء والقوانين في حدود شمول الحصانة على الدبلوماسيين واتباعهم واموالهم وأملاكهم اختلافاً كبيراً فمنهم من حددها في الممثلين الدبلوماسيين واولادهم وعائلاتهم ودور السفارات والمفوضيات ومساكنهم التي يقيمون فيها وعدد قليل من السكرتيرين والخدم الخصوصيين واستثنى منها املاكهم الخاصة وأموالهم المنقولة التي لا علاقة لها بوظائفهم . بينما يشمل الآخرون هذا كله وغير هذا أيضاً . فقانون (لا شابل) ينص على (ان الحد الادنى للحصانة

الدبلوماسية يتجلى بحق رفع العلم على دور السفارات والسيارات واللباس الرسمي حتّى في حالة الحرب . وأما حدها الاقصى فيشمل حتّى البرقيات والمراسلات والكتب وكل ما يراه الدبلوماسي ضرورة له من اجل حسن القيام بواجباته وانها تمتد إلى امواله المنقولة وغير المنقولة) .

اما الفقيه « كروتيوس » فيرى ان الحصانة يجب ان تكون مناسبة مع شخص الممثل . اما الفقيه « نيكرشوك » فيقول انها (حصانة قانونية جزائية فقط) اما العالم (فاتل » فيرى (ان هذه الحقوق يجب ان يتمتع بها الممثل الدبلوماسي كاملة غير منقوصة . وانها يجب ان تشمل كل ما يعود إلى شخصه وكل ما هو ضروري لمعيشته وسكناه) .

اما الفقيه (فاليمورس) فانه (يشملها حتّى على ضيوفه واملاكه الخاصة وما فيها من اثاث وملابس ومكاتب السفارات والمفوضيات وافراد العائلة والديون والمعاملات التجارية وان الممثل يتمكن من ان يشمل حصانته على ما يرى انه ضروري له) .

١١ ــ الحصانة الدبلوماسية كما هي منظمة بالقانون الدولي الاعفاء من اقليمية القضاء الجنائي

من المعلوم ان القضاء الجنائي يطبق على اقليم الدولة ارضاً وجواً وبحراً ولكنه لا يشمل المبعوثين الدوليين الدبلوماسيين فلا يجوز ان ترفع ضدهم الدعاوى الجنائية امام محاكم الدولة ولا ان تطبق عليهم قوانين عقوبات تلك الدولة مع العلم انه يجب ان لا يفهم من ذلك ان مخالفتهم لها تبيح لهم ذلك فالمفروض فيهم عدم الاخلال بها ولكنهم عندما يخالفونها لا يحاكمون في محاكم الدولة التي يعملون فيها بل في محاكم دولتهم بعد استعادتهم . إلا إذا كانت تلك الجرائم من الخطورة بمكان لا يسمح بالانتظار فللدولة

عندئذ ان تقبض عليهم وتفتش منازلهم واوراقهم وترسلهم إلى دولهم لمعاقبتهم . كما حدث في القبض على سفير السويد في لندن عام ١٧١٧ وتفتيش اوراقه عندما تآمر على الملك جورج الاول .

اما اذا كان الجرم لا يكوّن خطراً مباشراً على سلامة الدولة فيجب الاكتفاء بطردهم او طلب اعادتهم من قبـل حكوماتهم لتعاقبهم حسب قوانين تلك البلاد وانظمتها .

وقد طردت الولايات المتحدة الاميركية سفير بريطانيا عام ١٨٨٨ لتدخله في الانتخابات . وطردت فرنسا سفير اسبانيا عام ١٧١٨ بعد القبض عليه لتآمره على الحكومة وكذلك طُرِدَ « السنيور مندوزا » سفير اسبانيا في لندن عام ١٥٨٤ لثبوت تآمره على الملكة « اليصابات » اما سفير فرنسا « المسيو لوبسبين » الذي تآمر على حياتها عام ١٥٨٧ فقد اكتفت اليصابات بتحذيره بأن لا يعود إلى مثل ذلك مرة اخرى .

١٢ ـ الاشخاص الذين يتمتعون بالحصانة

اختلف المؤلفون والكتاب والحقوقيون كثيراً في الاشخاص الذين تشملهم هذه الحصانة وسيظهر لنا عند البحث في حصانة خدم السفارات درجة هذا الاختلاف ولكن الآراء متفقة على ان الحصانة يجب ان تشمل :

اولاً : السفراء والمندوبين فوق العادة الوزراء المفوضين في الدرجة الاولى والثانية والثالثة ومستشارو السفارات وسكرتيروها من الدرجات الثلاث والملحقين (الاعتيادي والتجاري والعسكري والثقافي والبحري والصحفي والجوي الخ الخ الخ) . وكـذلك الكتاب والمترجمين الخصوصيين للسفير وللوزير والطبيب والموظف الديني .

ثانياً : أفراد عائلة الممثل الدبلوماسي : (زوجته واولاده واقاربه المقيمين معه الذين يقوم باعالتهم) .

ثالثاً : الخدم : (من بوابين وفراشين ومراسلين وسواق سيارات وعربات وغيرهم) وفي ذلك اختلاف كبير بين العاماء والمختصين بالقانون الدولي كما سنرى .

١٣ ـ القائمة الدبلوماسية

جرت العادة في انكلترا وفي بعض البلاد الاخرى ان تطبع قائمة باسماء الاشخاص الذين لهم حق الاستفادة من الحصانة الدبلوماسية . وقد نص (قانون الامتيازات الاجنبية الانكليزي لعام ١٨٠٧) على أنه (لا يعاقب الموظف الانكليزي الذي يوقف الدبلوماسيين الذين لم تدخل اسماؤهم في القائمة التي يصدرها « الشريف » وقد اعترض الكثيرون على هذه القائمة حيث يمكن ان تكون مغلوطة او تعمدت اهمال اسم من الاسماء كما انها قد تحتوي اسماء لا علاقة لها بالدبلوماسية لسبب من الاسباب ولذلك صرفت الدول النظر عن تلك القوائم .

١٤ ـ حصانة زوجات الممثلين الدبلوماسيين

لقد اتفق جميع الفقهاء والكتاب كما اتفقت القوانين الخاصة والقوانين الدولية بأن زوجات الدبلوماسيين تشملهن حصانة ازواجهن .

ان مرسوم سنة ١٨٤١ الصادر من محكمة باريس ينص على ان « حصانة زوجة الدبلوماسي كحصانة زوجها » .

أما في القضاء الانكليزي فلا يوجد نص صريح على هذا ومع ذلك فهو

أمر يتفق عليه وفق العرف الدولي والقوانين الدولية وليس فيه خلاف .

وقد حدث مؤخراً ان زوجة احد الممثلين الدبلوماسيين في لندن كانت منفصلة عن زوجها وتسكن لوحدها في فندق عمومي وعندما طولبت بدفع قائمة حساب الفندق المذكور وامتنعت عن الدفع أقام صاحب الفندق عليها الدعوى ولكن المحكمة الانكليزية رفضت النظر فيها .

وفي عام ١٩٠٧ حدث ما يشبه ذلك في (باريس) حيث كانت زوجة احد الممثلين الدبلوماسيين قد انفصلت عن زوجها وسكنت لوحدها في منزل آخر فاقيمت عليها دعوى لدفع ١٩٤٩ فرنكاً وهي قائمة مشتريات وأجور أخرى فامتنعت عن دفعها كما ان زوجها امتنع عن الدفع وعند حضور الزوجة إلى المحكمة قالت بعدم صلاحية المحكمة بالنظر في تلك الدعوى بصفتها زوجة ممثل دبلوماسي المتمتع بالحصانة الدبلوماسية وهكذا اصدرت المحكمة قرارها بعدم اختصاصها واعتبرت ان الفرقة بين الزوجين مؤقتة لا تؤثر على حصانة زوجة الدبلوماسي .

١٥ ـ حصانة افراد عائلة الممثل الدبلوماسي

من المتفق عليه ان حصانة الممثل الدبلوماسي تمتد إلى افراد عائلته الذين يسكنون معه او يسكنون في محل آخر ولكنه يقوم باعالتهم .

وقد حدث في (بلجيكا) عام ١٩٠٦ ان قتل احد ابناء ممثل دبلوماسي سكرتير مفوضيتهم في (بروكسل) ولكن المحاكم البلجيكية لم تتخذ اي اجراء بحق القاتل إلى أن تنازل الاب عن حصانة ابنه بعد استئذان حكومته .

١٦ - حصانة الخدم

اتفقت آراء العلماء المشتغلين في حقل القانون الدولي على ان حصانة السفراء والممثلين الدبلوماسيين الآخرين تمتد إلى خدمهم ولكنهم اختلفوا في تعريف الخدم وتفريقهم وأقسامهم فمنهم من شمل الخدم جميعهم بالحصانة ومنهم من اقتصرها على الخدم الخصوصيين الذين يقومون بالخدمات الخاصة للممثل الدبلوماسي . كخادمه الخاص في مكتبه وخادمه في بيته وسائق سيارته او عربته ولا يُشملها على باقي خدم السفارة والفراشين والبستانيين والبوابين.

واكثر المؤلفين يدخلون السعاة في الحصانة لأنهم يحملون اوراق الدبلوماسي وينقلون مراسلاته واضابيره من محل إلى آخر داخل السفارة او خارجها بين مختلف مكاتبها او بينها وبين مساكن الموظفين الدبلوماسيين .

يقول الاستاذ « اوبنهايم Oppnheim » وهو عميد فقهاء القانون الدولي الانكليزي في القرن العشرين في كتابه (القانون الدولي) الذي يعتبر مرجعاً مهماً للانكليز وغير الانكليز الصادر في عام ١٩٥٥ في الصفحة (٨٠٩) من الطبعة الثامنة ما يلي : (ان حاشية المبعوث الدبلوماسي تتألف من الافراد الذين يرافقونه سواء كانت مرافقتهم له بصفة رسمية او كانوا في خدمته الخاصة او كانوا من افراد اسرته او من السعاة) .

ثم يقول في الصفحة (٨١٠) من نفس الكتاب (انالذي استقر عليه العمل بصورة عامة وفي انكلترا بوجه خاص بان جميع افراد المبعوث الدبلوماسي من حاشيته يجب ان تشملهم الامتيازات التي يتمتع بها هو نفسه) .

ويقول الاستاذ « ميشيل Michel » (وهو يحمـــل لقب سير) في محاضرته التي القاها باكاديمية القانون الدولي في (لاهاي) في الصفحة (١٥٦) من مجموعة الاكاديمية المذكورة لعام ١٩٢٦ ما يلي : -

« تمتد الحصانات التي يتمتع بها الدبلوماسي إلى خدمه سواء كانوا من اعضاء البعثة الدبلوماسية او من غيرهم ويقول كذلك في الصفحة (١٥٣ – ١٥٤) ما يلي :

« اما مستخدمو المكتب المتصلين بالبعثة كأعضاء وموظفي الاضابير والمحفوظات وكتاب الطابعة والمختزلين وكذلك البوابين فيدخلون ايضاً في نفس الصنف » .

ويؤيد هذا المبدأ ما جاء في الكتاب الابيض الذي اصدرته الحكومة الانكليزية في تموز عام ١٩٥١ والذي تضمن تقرير اللجنة الحكومية التي الفتها الحكومة الانكليزية عام ١٩٤٩ برئاسة اللورد «سومر فيل Samarvill » أحد قضاة مجلس اللوردات وعضوية تسعة من كبار اساتذة القانون والمستشارين القانونيين لعدد من الوزارات الانكليزية من اجل دراسة الحصانات الدبلوماسية وكانت احدى النقاط التي دار البحث حولها هي « عما اذا كان قانون المملكة المتحدة وتطبيقاته العملية يمنح للاشخاص المتمتعين بالحصانة الدبلوماسية حصانة اوسع مما تتطلبه مبادىء القانون الدولي العام في نطاقه الضيق وقد جاء في تقرير هذه اللجنة في البند السادس (ان منح الحصانة التامة من القضائين المدني والجنائي لاعضاء الهيئات الدبلوماسية وافراد اسرهم هو كما يبدو لاعضاء اللجنة أمر يتطلبه القانون الدولي العام) ثم انتقل التقرير في بنده السابع إلى الكلام عن اعضاء البعثة الدبلوماسية الذين هم من الدرجات الدنيا من السلك الدبلوماسي كالكتبة وامثالهم فاشار إلى أن انكلترا والغالبية العظمى من الدول تعترف لهم بنفس الامتيازات والحصانات التي يتمتع بها اعضاء الهيئات الدبلوماسية من الدرجات العليا . كما اشار التقرير المذكور إلى أن وزارة الخارجية البريطانية بعد دراستها التامة المستفيضة لهذا الموضوع اعلمت اللجنة بأنها تؤيد تماماً المبدأ المتبع في انكلترا وغالبية الدول بشمول هؤلاء الكتاب والمستخدمين الصغار بالحصانة ثم قالت اللجنة بأنها تتفق مع

وزارة الخارجية في هذا الرأي ولا توصي باجراء تعديل او تحوير في المبدأ الذي اعتادت الحكومة البريطانية الأخذ به وقد اوصت اللجنة بأن على وزير الخارجية ان يرفض في المستقبل قبول المواطن الانكليزي كخادم في سفارة اجنبية موجودة في انكلترا إلا بعد أن يتنازل مقدماً عن حصانته الدبلوماسية ويظهر من هذا ان القانون الانكليزي كان يشمل الحصانة على جميع الخدم قبل صدور قانون ١٩٥١ حتى اذا كانوا من الرعايا الانكليز ومع ذلك يذكر التاريخ بأن الحكومة البريطانية قد القت القبض في عام ١٨٢٧ على سائق عربة سفير اميركا في لندن عندما كان في الاسطبل ولما احتجت اميركا على ذلك اجابت بريطانيا بان القانون لا يمنع القبض على خدم السفارات في حالة ارتكابهم الجرائم وان المحل الذي قبض فيه عليه ليست له حرمة دبلوماسية . ولكن بعض الفقهاء ينتقدون هذا العمل ولا يوافقون بالقبض على الخدم بدون علم السفراء او الممثلين الدبلوماسيين على اقل الاحتمالات والتقديرات ولان حرمة المحلات المشمولة بالحصانة غير محددة بوضوح .

وكذلك نرى ان التعامل الاميركي مثل التعامل الانكليزي في هذا الباب سواء بسواء فقد جاء في الرسالة التي وجهها المستر كرو Grew نائب وزير خارجية اميركا إلى القائم باعمال السفارة الالمانية في واشنطن والمؤرخة في ١٦ يوليو (تموز) ١٩٢٦ ما يلي :

(ان الحصانة من الاجراءات الجزائية والدعاوى المدنية ومن أداء الشهادة والتي يعترف بها القانون الاميركي تشمل الممثل الدبلوماسي وسكرتيريه وملحقيه وبضمنهم الملحقين العسكريين والبحريين والتجاريين كما تشمل المستخدمين أيضاً وجميع أهل بيته وبضمنهم افراد اسرته وخدمه الخصوصيين) .

وقد جاء في كتاب قانون الشعوب للاستاذ (شارل فينوك **Charl Phinok**

الذي كان يشغل وظيفة مدير دائرة القانون والتنظيم الدولي في الولايات المتحدة الامبركية ما يلي: (ان الامتيازات والحصانات الممنوحة للممثلين السياسيين تمتد إلى حد كبير إلى أعضاء حاشيتهم فان الاشخاص المربوطين رسمياً بالسفارات والمفوضيات يتمتعون بموجب العرف القديم بنفس الحصانات والاعفاءات الشخصية التي يتمتع بها السفراء والوزراء انفسهم) « انظر الصفحة ٤٧٥ من الطبعة الثالثة من الكتاب المذكور التي صدرت عام ١٩٤٨ » ثم جاء في نفس الصفحة ما يلي : – (يدخل في فئة الاعضاء الرسميين كحاشية الوزير السعاة وحملة الرسائل الذين ينبغي ان لا يمنحوا الحصانة القانونية من المحاكم المحلية فقط بل يجب ان يمنحوا تسهيلات خاصة من اجل ان يحسنوا القيام بواجباتهم) .

وقد ايد ذلك تمام التأييد الاستاذ (شارل هايد Charl Haid) الذي كان يشغل كرسي استاذ القانون الدولي العام والدبلوماسية في جامعة (كولومبيا) في الصفحة (١٢٧٢) من الجزء الثاني من كتابه (القانون الدولي) طبعة عام ١٩٥١ الثانية وكذلك الاستاذ (وليم بشوب William Bichop) الاستاذ في جامعة (مشيكن) الذي ايّد نفس المعنى في كتابه (القانون الدولي) في الطبعة الثالثة الصادرة عام ١٩٥٤ .

أما التعامل الافرنسي : – فانه يؤيد هذا المعنى ايضاً فقد جاء في كتاب (القانون الدولي العام) للاستاذ (مارسيل سبير Mrssel Speer) استاذ القانون الدولي في جامعة باريز في معرض حديثه عن الحصانة من القضاء الجنائي المحلي ما يلي : –

(ان الممثل السياسي لا يكون حرّاً اذا صار في الامكان محاكمته امام محاكم الدولة التي يعمل فيها ، ان استقلاله في وظيفته يستلزم حصانة تمنع خضوعه للقضاء المحلي اذ لو كان من الممكن القبض على ممثلي الدول الاجنبية وحجزهم ومحاكمتهم والحكم عليهم في المحاكم المحلية لما امكن تحقيق ذلك الاستقلال لهم ثم اردف قائلاً : ان الفقه المعاصر متفق تمام

الاتفاق على منح الممثلين الدبلوماسيين هذه الحصانة بل ان القوانين والمعاهدات الدولية تقدس هذا الحق ولذلك يجب ان تفسر هذه الحصانة في اوسع نطاق ممكن دون الالتفات إلى خطورة الجريمة او طبيعتها سواء كانت من الجرائم الاعتيادية ام من الجرائم السياسية (انظر الصفحة ١٨٠ عن الجزء الثاني طبعة سنة ١٩٥١ . ثم ينتقل المؤلف في الصفحة ٣١ من نفس الجزء إلى القول :« (لن تكون هناك قيمة حقيقية للحصانة الدبلوماسية ان لم تتسع لتشمل حاشية الممثل الدبلوماسي كزوجته وافراد اسرته وكل من يكون تابعاً له شخصياً ام رسمياً فكلهم يجب ان يتمتعوا بهذه الحصانة) .

وبهذا المعنى يقول الاستاذ (ديسبانيه Dispanier) استاذ جامعة (بوردو) والعضو في معهد القانون الدولي في كتابه (دروس في القانون الدولي في الصفحة (٣٣٦) من الطبعة الرابعة حيث يشمل الحصانة (افراد اسرة الممثلين الدبلوماسيين وجميع افراد حاشيتهم الرسمية وغير الرسمية .

التعامل العربي : وكذلك التعامل في البلاد العربية فان كتب القوانين الدولية « لعلي ماهر ، وابو هيف ، ومحمود سامي جنينة » شملت الخدم من بوابين وفراشين وما شابه وذلك في الفقرات الاخيرة من بحوثهم عند تعدادهم للمشمولين بالحصانة الدبلوماسية . ولكن الحكومة العراقية لم تأخذ بهذا الرأي عندما قبضت على المدعو « محمد علي عيسى » الساعي في السفارة المصرية المتهم في قضية الاتفاق الجنائي للقيام باعمال التخريب وفق المادة ٦٣/٦٢ بدلالة المادة ١٤ من الباب الثاني عشر من قانون العقوبات البغدادي فانها لم تأخذ بهذه الآراء رغم الحجج والأدلة التي ادلى بها محامي المتهم الدكتور حسن زكريا في دفاعه . ومع احترامي له فاني لا اتفق معه بل أؤيد ما ذهبت اليه المحاكم العراقية وذلك لانه « يبدو لي ان الفقهاء الافاضل المحترمين المذكورين وغيرهم من علماء القانون الدولي العام ساروا في الغالب سيراً تقليدياً فأيد بعضهم البعض وناصر أحدهم الآخر في موضوع

خطير هو موضوع حصانات الخدم متأثرين بالفكرة القديمة السائدة دون الالتفات إلى التطور التاريخي المدهش فقد كان عدد الخدم في السفارات في الازمنة الغابرة محدوداً جداً ، أما اليوم فقد توسعت السفارات بشكل غير اعتيادي وصارت تستخدم عشرات المستخدمين والخدم والطباخين والبوابين والبستانية والحوذية والسواق والسعاة والندل من مقدمي الشراب والسفرجية الذين يقدمون الطعام والسعاة واغلب هؤلاء من الاميين البسطاء الذين لا يهتمون بمصلحة اسيادهم او مخدوميهم من الممثلين الدبلوماسيين ولا يقدّرون مصلحة بلادهم التي يمثلونها ولا مصلحة البلد الذي يمثلون فيه بلادهم وقد يكون بينهم من السذج البلهاء الذين يسهل التأثير عليهم وكذلك أرى أنه لا يجوز للممثل الدبلوماسي العاقل خالي الغرض الحريص على تمتين روابط الصداقة البريئة الخالصة بين بلاده والبلاد التي يعمل فيها ان يسمح هو نفسه بشمول الحصانات التي يتمتع بها هو على امثال اولئك الذين وصفناهم بتلك الاوصاف . لذلك ارى ان تشمل الحصانة خدمهم الخصوصيين الذين يقومون بخدماتهم الشخصية فقط والمراسلين الذين يحملون بريدهم السياسي وسواق سياراتهم الخاصة عند قيامهم بسياقة السيارة أثناء ركوب الممثل الدبلوماسي فيها . أما غير هؤلاء فيجب ان لا تشملهم الحصانة الدبلوماسية إذ لا ارى معنى لشمولها البوابين ما زالت الابواب بحراسة رجال القوات المسلحة كما لا اجد لزوماً بشمولها الطباخين الذين يشتغلون في احضار الطعام في المطابخ والبستانية الذين ينظمون الازهار في الحدائق والفراشين المعينين الذين يستقبلون الضيوف ويقدمون لهم القهوة والشاي والسكاير والخدم المشغولين في تنظيف المكاتب والمساكن .

١٧ — حصانة الاموال المنقولة وغير المنقولة

يقول العالم (فاتل) Vatel) ان الاموال المنقولة مشمولة بالحصانة سواء كانت تعود للممثل نفسه او للسفارة او للمفوضية وعربة السفير او

سيارته فانها مشمولة ويرى ان الاعتداء على العربة والسيارة كالاعتداء على المسكن . وقد صرنا نرى اليوم بأن سياراتهم لا ترضخ حتى لقوانين المرور في كثير من البلاد ومعفاة من الرسوم الجمركية والضرائب الاخرى ومنذ عام (١٧٠٨) أصبحت جميع مستوردات الدبلوماسيين معفاة من رسوم الجمارك وحتى عبيدهم (على عهد العبيد) كانوا لا يمسون بسوء ولكننا نرى مع ذلك ان بعض الدول قد شذت عن هذا المبدأ .

فان الاستاذ (ويتون Wheaton) الحجة بالقانون عندما كان سفيراً للولايات المتحدة في برلين عام (١٨٨٠) كانت داره قد تهدمت أثناء الثورة فلما طالب حكومة بروسيا بالتعويض لم تدفع له شيئاً رغم المراسلات المطولة التي جرت بين المانيا والولايات المتحدة .

ويرى (ساتو Sato) في صفحة (٣٨٦) من كتابه بأن الحكومة الالمانية كانت على خطأ لان الحصانة تشمل المسكن والاثاث الذي فيه والبوابين والحراس الذين كانوا يحافظون عليها وان الحكومة الالمانية كان يجب ان تعتبر نفسها مسؤولة عنها . ويرى العالم (هرست Hurst) ان (الحصانة ان لم تشمل الاموال المنقولة وتمتد إلى الأموال غير المنقولة فلا يمكن للممثل السياسي ان يقوم بواجبه على الوجه الاكمل فالأثاث والسيارات والدراهم التي في المصارف يجب ان تكون مشمولة وانه يصعب التفريق بين كل هذه الأشياء إذ لا يمكن معرفة ما هو ضروري وما هو غير ضروري للممثل الدبلوماسي ولذلك يرى ان تكون كأنها مشمولة بالحصانة) ونلاحظ ان الفرق المهم بين رأي العالم (ساتو) ورأي العالم هرست هو أن الاول يقول بأن الحصانة تشمل البضائع التي يستعملها السفير نفسه . أما الثاني فيشمل الحصانة على جميع البضائع التي ترد باسمه بصرف النظر فيما اذا كان يستعملها هو أو غيره .

وكذلك يرى (اوبنهايم Oppanheim) رأي (هرست) فيقول :

(ان الحصانة تمتد إلى املاكهم واموالهم وبضائعهم واوراقهم وانه يجب ان لا يحجز عليهم وعلى اثاثهم ومساكنهم وسياراتهم وغير ذلك ممـا يعود لهم .

وقد اختلف الفقهاء القدماء في هذا الموضوع كالفقهاء المعاصرين فقد كان الفقيه (كروتيوس Grotius) لا يفرق بين املاك السفارة والاملاك المستأجرة .

أما الفقيه (بنكرشوك Bunkershock) فانه يقول (ان الحصانة لا تتعدى الاملاك غير المنقولة على ان تكون الاملاك شخصية وليست مستأجرة . فهو يشمل بالحصانة بناء السفارة والمفوضية ومسكن الممثل السياسي اذا كانت املاكاً خاصة وغير مستأجرة » .

اما العالم (فيليمور Philimore) فيقول : (ان الاملاك الشخصية والاموال غير المنقولة محصنة اما الاملاك المستأجرة والتي لا تستعمل لاغراض سياسية فانها غير محصنة وكذلك الاموال المنقولة تشملها الحصانة اما السيارات والعربات فانها محصنة ومعفاة من الضرائب كالاملاك الشخصية غير المنقولة».

اما (وارتون) فهو يرد على (فاتل) و (فيليمور) فيقول : (بأن الممثل السياسي بوسعه ان يمتلك اموالاً شخصية غير الاملاك الرسمية ولكنها تخضع للقوانين الاقليمية) .

اما فيما يختص بحصانة الاموال غير المنقولة فان (ساتو Sataw) يقول : (بأنها محصنة حصانة تامة فلا يجوز للحكام وجباة الضرائب والشرطة وافراد الجيش وغيرهم دخولها بدون اذن . ويذكرنا بحادث المبعوث الاسباني (ابوداكا) الذي اوقف خادمه في الفوضية الاسبانية في لندن عام

(١٨٠٨) لجناية اتهم بها فاحتج (ابو داكا) على خرق حصانة مسكنه السياسي وايقاف خادمه بدون سابق انذار .

ويقول (ساتو) ان امثال هذه القضايا تنتهي عادة بالاعتذار . ويقول : (ان هذه الحصانة تمتد إلى مساكن المبعوثين الدبلوماسيين وموظفي السفارة وكذلك بنايات السفير وملحقيه السياسيين حتى اذا كانت بعيدة عن مقر السفارة . أما الجرائم المقترفة داخل هذه الابنية من قبل اشخاص لا تشملهم الحصانة فانها ترضخ للقوانين المحلية وعلى الممثلين الدبلوماسيين ان يسلموا هؤلاء المجرمين إلى السلطات المحلية ليحاكموا أمام القضاء الاقليمي) .

أما العالم (جني Genet) فانه خصص بحثاً مطولاً لهذا الموضوع (حيث شمل بالحصانة حتى الاملاك المستأجرة ما دامت قيمة الاجار مدفوعة من قبل حكومة الممثل الدبلوماسي إلا إذا استثنى ذلك باتفاقيات وعقود شخصية صريحة) .

ويقول انها ما دام اجارها مدفوعاً من قبل حكومة المبعوث السياسي فانها تعتبر داخله في حدود بلاده واذا ما ولد للمبعوث السياسي ولد فيها فانه يكتسب جنسية بلاده حالاً) .

ويوضح (اوبنهايم) ذلك بما يسميه (المقر الممتاز Domecele Selleoté) ما زال يستعمله المبعوث من اجل واجباته الوظيفية وكذلك تشمل الحصانة كل ما فيه من أوراق ووثائق (أرشيف Archives) أما اذا أساء المبعوث استعمال هذه الامتيازات فان الحكومة المحلية لا تتحمل ذلك وهو يوضح هذا بقوله : (انه لايمكنهم ان يقبلوا في هذه المساكن لاجئين مجرمين) .

ولكن التاريخ يذكر حوادث كثيرة عن التجاء المجرمين السياسيين إلى دور السفارات والمفوضيات الأجنبية ومن تلك الحوادث التجاء القائد

العثماني (سعيد باشا الذي كان مطلوباً من قبل السلطان عبد الحميد) عندما هرب من العربة التي كانت تقله إلى الباب العالي (بلاط السلطان عبد الحميد) بحراسة ضباط من الجيش ودخل السفارة الافرنسية في الاستانة عندما كانت العربة تمر من امامها فصعد رأساً إلى سطح السفارة واحتضن سارية العلم الافرنسي فقبلته السفارة الافرنسية كلاجيء سياسي وارسلته إلى باريس التي عاش فيها إلى أن وافاه الأجل المحتوم) .

يقول (اوبنهايم Oppanheim) ان اللاجئين الذين يحتمون بالسفارات الاجنبية على السفارات ان تقدمهم إلى حكوماتهم حفظاً للصلات القائمة بين البلاد التي يمثلونها والبلاد التي يعملون فيها . ويضرب لنا مثلاً على ذلك قضية المجرم الروسي (نيكتو جينكو) الذي احتمى بالسفارة الروسية في باريس عام ١٨٦٧ فقبضت عليه الشرطة الافرنسية داخل السفارة واوقفته لمقاضاته على جرمه في المحاكم الافرنسية ولما احتج السفير الروسي على ذلك وطلب محاكمته من قبله على الجرم الذي ارتكبه داخل السفارة امتنعت الحكومة الافرنسية عن تسليمه لانه لا يتمتع بالحصانة الدبلوماسية .

وكذلك يذكر لنا اوبنهايم مثلاً ثانياً عن الصيني الذي لجأ إلى السفارة الصينية في لندن واحتمى بها عام ١٨٩٦ وقد دافعت السفارة الصينية عنه ولكن ذلك الدفاع لم يحل دون توقيفه من قبل السلطات البريطانية لأنه لم يكن مشمولاً بالحصانة الدبلوماسية .

وقد حدث في بلجيكا عام ١٩٢٩ ان هاجم الصيني المدعو (جانك) وجماعته الوزير الصيني داخل السفارة الصينية في بروكسل واعتدوا عليه فتدخلت السلطات البلجيكية في الأمر واوقفتهم بالرغم من دفعهم امام المحكمة بان قضيتهم حدثت داخل السفارة ولكن المحكمة ردت دفاعهم قائلة (بأن الحصانة التي تتمتع بها دور السفارات لا تنتقل إلى من في داخلها ممن لا يتمتعون بحصانة دبلوماسية وفي سنة ١٨٨٠ قامت محكمة المانية بما

يشابه ذلك تماماً في قضية حدثت في سفارة اجنبية قام بها اناس لا يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية .

وقد حدث مثل ذلك ايضاً في ايطاليا فيما يختص بجرائم اقترفت في روما داخل الممثليات البابوية (سفارات الفاتيكان) ومع ان هذه الاملاك أملاك ايطالية وفي داخل روما ولكنها مشمولة بالحصانة الدبلوماسية وفق معاهدة (لتران) المعقودة بين البابا والحكومة الايطالية في ١١ شباط ١٩٢٩ فيذكر التاريخ ثلاث حوادث حكمت فيها المحاكم الايطالية .

أما الحادثة الأولى : — فهي حادثة سرقة حصلت في متحف (ليتران) كان المتهم فيها رجلاً يدعى (موريجي Moriggi) فقد دفع محاموه بأن المحاكم الايطالية غير ذات اختصاص في هذه القضية لأنها حدثت في سفارة الفاتيكان فهي بهذا الاعتبار تكون كأنها حدثت خارج الحدود الايطالية ولكن المحكمة الايطالية رفضت ذلك الادعاء قائلة (بأن القانون يشمل المتهمين بالحصانة الدبلوماسية فقط وبما ان السارق ليس عضواً في الهيئة الدبلوماسية البابوية فانه يجب أن يحاكم في المحاكم الايطالية .

وأما الحادثة الثانية : — فقد حدثت داخل الممثلية البابوية بنتيجة خلاف على موضوع استخدام شخص غير دبلوماسي . فقد نظرت المحكمة فيها لان الشخص لم يكن من الاشخاص المشمولين بالحصانة .

وأما الحادثة الثالثة : — فقد حدثت للممثل البابوي الكاردينال (راكوبنزي) في قصر (اوفزيو) الواقع في روما فلما احيلت القضية إلى المحاكم الايطالية ادعى الدفاع بعدم اختصاص المحكمة لأن الحادثة حدثت في سفارة اجنبية ولكن المحكمة الايطالية رفضت الادعاء لأن الطرف الثاني في الخصومة لم يكن محصناً بالحصانة الدبلوماسية فنظرت المحكمة في القضية وفق المادة (١٥) من معاهدة ليتران .

ويذكر التاريخ خلاف حدث في روما حول حصانة عربات الماركيز دي فونتنوا) التي كانت تنقل ثواراً هاربين من (نابولي) بغية تهريبهم وتسفيرهم ولكن الحراس اوقفوا العربات وقبضوا على الثوار الذين كانوا في داخلها وقد اعترض السفير على ذلك ولكن البابا أكد الطابع الشرعي لذلك العمل واعترض على الماركيز الذي اراد أن يمنح حصانته إلى الثوار المجرمين وينجيهم من العقاب وانه بالرغم من ان عربات الممثلين تتمتع بحصانة دبلوماسية ولكن اذا تأكدت السلطات المحلية بأن تلك الامتيازات قد اسيء استعمالها من قبل الممثلين السياسيين فليس لهم ان يشكو من الاجراءات التي قد تتخذها الحكومة التي يصيبها الضرر .

ويقول العالم (هيرست) فيما يختص بحصانة الاموال غير المنقولة (ان الحصانة تقتصر على الاملاك المتخذة كمقر رسمي للممثل الدبلوماسي وتشمل الاماكن التي يشغلها موظفو السفارة لاعمالهم الرسمية والتي يشغلها المتمتع بالحصانة ولو لغير اعماله الرسمية فانها تكون محصنة ما داموا فيها فاذا ما تركوها تزول عنها الحصانة .

ان القانون الانكليزي الخاص بالحصانات والامتيازات لسنة ١٩٥٠ ينص على (ان لملك انكلترا حق منح الحصانات والامتيازات لمبعوثيه الدبلوماسيين وتحديدها بالاتفاق مع الدول الاخرى التي تبادل انكلترا المعاملة بالمثل فيما يختص شمول الحصانة على الاموال المنقولة وغير المنقولة وكذلك الاعفاءات من الضرائب والرسوم) .

اما فيما يختص بالضرائب فقد اختلف الفقهاء في ذلك ومع ان الاملاك لا تعفى من الضرائب والرسوم ولكن العرف الدولي جرى بأن لا تؤخذ ضرائب على الاملاك الخاصة بالسفارات والممثليات ولكن الكتاب القدماء امثال « كروتيوس وتنكرشوك » لم يتطرقوا إلى بحث هذا الموضوع .

وفي سنة ١٧٨٩ كتب (مارتن) يقول (بأن جميع انواع هذه المساكن يجب أن تكون راضخة للضرائب المحلية) وقد أيده في هذا الاتجاه كتاب وفقهاء القرن التاسع عشر أمثال (ويتون) و (فيليمور) اللذان قالا بوجوب استحصال الضرائب عن تلك الاملاك التي يسكنها او يعمل بها الدبلوماسيون اما (ارتون) فيقول (ان كل اعفاء من الضرائب يجب ان يستند على المعاملة بالمثل وأن اصحاب هذه الاملاك والابنية ليسوا ممثلين دبلوماسيين ولا يتمتعون بحصانة من اي نوع كان . فعليهم ان يدفعوا الضرائب والرسوم عن املاكهم المؤجرة للممثلين الدبلوماسيين وكذلك العالم (دالوز) الذي يقول : (ان جميع دور السكنى والدوائر المأجورة يجب ان تدفع الضرائب يستثنى من ذلك بطبيعة الحال الغرف المعدة لسكنى الممثلين في الفنادق فان ضريبتها تدفع من قبل صاحب الفندق . ويوجد من الكتاب من يعترض على (دالوز) فيما يختص باعفاء الفنادق التي يسكنها الممثلون السياسيون فيقول انها كباقي المساكن يجب ان لا تعفى من الضرائب . فهناك صاحب المسكن هو الذي يدفع وهنا صاحب الفندق .

وأول من قال بعدم إعفاء الممتلكات المسقوفة وغير المسقوفة هو العالم (دوران) الذي يقول (بلزوم دفع الضرائب عن الاموال غير المنقولة وان كل ما يتعلق بالارض يخضع إلى انظمة الحكومة المحلية وقوانينها لأنه من الصعب أن تربط هـــذا بالحصانة الدبلوماسية على الأشخاص أو الأموال المنقولة . لأن مالك العقار هو الذي يدفع الضريبة وليس الممثل الدبلوماسي .

وكذلك يقول (ليزبوا) ليس في القانون الدولي قواعد لغرض امتيازات عدم دفع الضرائب على الاملاك غير المنقولة » .

اما العالم (ساتو) فانه يفرق بين الملك الذي يستخدم لاغراض دبلوماسية بحتة . والذي لا يستخدم لمثل تلك الاغراض فيقول (ان الاول يعفى من

ضرائب الدخل واما الثاني فلا يعفى وكلاهما لا يعفيان من الرسوم والضرائب الاخرى – كضريبة البلدية وغيرها –) .

وهناك بعض الدول من تعفي ضريبة الدخل عن المساكن والدوائر المؤجرة تسهيلاً وتخفيفاً لبدل الايجار عن كاهل الممثلين . وكذلك يُعفى الممثلون من دفع باقي الضرائب والرسوم الاخرى . ومن الدول من تفعل ذلك بصورة منفردة (من طرف واحد) ومنها من تفعله عملاً بقاعدة (المعاملة بالمثل) (التي هي أعلى من نصوص القانون الدولي لأن الدول تطبقها من تلقاء نفسها وبرضاها) وبعضها منح هذا الاعفاء بقانون خاص (كقانون الاعفاء النمساوي) وكذلك ايطاليا في اتفاقية (ليتران ١٩٢٩) المعقودة بينها وبين المملكة البابوية .

اما في انكلترا فان الاملاك الخاصة بالسفارات والمفوضيات معفاة من جميع الضرائب والرسوم . وكذلك المملوكة من قبل الممثلين السياسيين المتمتعين بالحصانة واما الاملاك الاخرى التي تعود لاصحابها الانكليز والمؤجرة للسفارات فانها ترضخ لجميع الضرائب التي يدفعها صاحب الملك كباقي المواطنين .

والخلاصة فان الاتفاق يكاد يكون تاماً على ان الاراضي والاملاك المشادة عليها البنايات معفاة من الضرائب اذا كانت ملكاً لدولة الممثل السياسي وكانت مشغولة لاسباب دبلوماسية (مكاتب او دور سكنى) وكذلك الاملاك الخاصة بالممثلين الدبلوماسيين كدور سكنى اما اذا كانت للاستغلال التجاري فانها لا تكون معفاة مع العلم ان الممثلين الدبلوماسيين ممنوعون من الاشتغال بالتجارة بجميع انواعها (تجارة اراضي او املاك او استيراد او تصدير او بيع وشراء) ومن يشتغل منهم بالتجارة فلا يرضخ للضرائب والرسوم فحسب بل يعرض نفسه إلى مشاكل كثيرة هو في غنى

عنها حتى لو سمحت له حكومته بذلك وكذلك الاراضي والمباني المستأجرة فان مالكها يدفع الضرائب عنها إلاّ اذا كانت هناك قوانين خاصة او معاملة بالمثل .

١٨ ـ فيما يختص بالعقود وحوادث التزوير

وقد اتفق الفقهاء على ان العقود المخالفة للقوانين المحلية اذا حدثت في السفارات بين طرفين غير محصنين او بين طرف محصن وآخر غير محصن فان النظر فيها يعود للمحاكم المحلية ومثل ذلك ما حدث في فرنسا لصاحب املاك احدى السفارات الاجنبية المدعو باكوري الذي كان قد تعاقد داخل تلك السفارة بعقد أجار يخالف قانون الايجار الجاري المفعول في فرنسا فقد حوكم على مخالفته في المحاكم الافرنسية وفق منطوق ذلك القانون بالرغم من دفاعه بأنه قام في عمله داخل سفارة اجنبية) .

وكذلك الامر في حوادث التزوير (فقد حدث تزوير جواز سفر هنغاري من قبل شخص غير محصن داخل السفارة الهنغارية في النمسا فحوكم في محاكم (فيينا) رغم ممانعة السفير الهنغاري) .

١٩ ـ حصانة ممثلي الملوك المخلوعين

من المتفق عليه ان ممثلي الملوك المخلوعين لا يبقى لهم واجب يقومون بتأديته ولذلك لا يتمتعون بالحصانة بل يطالبون باستردادها بعد الاعتراف بالملوك الجدد او السلطات الجديدة التي تألفت في بلادهم .

مثال ذلك (ما حدث في القرن السادس عشر فيما يختص بالمطران (لبسلي) الذي كان ممثلاً (لماري ستيورات) ملكة اسكوتلندا لدى (الملكة

اليزابيث) وكان هذا المطران قد قام بمؤامرة ضد الملكة اليزابيث فلما تم خلع (ماري ستيوارت) وجهت الحكومة الانكليزية سؤالاً إلى خمسة من كبار القضاة تقول لهم فيه (اذا اقصي ملك من الملوك عن عرشه فهل يجب اعتبار سفير الملك المخلوع سفيراً للملك الجديد ويتمتع بالحصانات الدبلوماسية ؟ فكان جواب القضاة بالنفي قائلين بأن الملوك والأمراء القائمين على العرش لهم وحدهم الحق بارسال السفراء) . وفي الوقت نفسه (لا يحق للملك المخلوع ان يرسل سفراء إلى الممالك الاخرى واذا حدث وارسل فلا يقبل منه ذلك بعد الاعتراف بالملك الجديد او بشكل الحكومة الجديدة).

وفي زمن كرومويل كان لا يزال سفير (الملك شارل الاول) ممثلا للحكومة البريطانية لدى دوقية (فينسيا) ولكن حكومة فنسيا بعد ان اعترفت بحكومة الرئيس (كرومويل) سحبت اعترافها بالسفير القديم وارجع إلى بلاده .

وكذلك عندما حدث انقلاب في روسيا واستولى الشيوعيون على الحكم وقضي على حكومة القياصرة عام ١٩١٧ فان الممثلين السابقين الذين كانوا يمثلون القيصر في اوروبا والعالم كانت قد انتهت مهماتهم (مع اعتراف الدول بالوضع الاشتراكي الجديد في روسيا) الواحدة بعد الاخرى فعادوا إلى بلادهم او طلبوا اللجوء السياسي في البلد الذي كانوا يمثلون القيصر فيه او في اي بلد آخر او هاجروا مع من هاجر من الروس البيض إلى اميركا التي فتحت لهم الابواب على مصاريعها . اه

بسم الله الرحمن الرحيم

حرب القادسية

المقدمة

قد يستغرب القارىء العزيز ذكر هذه الحرب في موضوع الدبلوماسية التي تدعو عادة إلى السلم . وللإجابة عن الاستغراب اقول ان ذكر ذلك لا يخلو من فائدة لمعرفة نتيجة تلك المحادثات الدبلوماسية بين الوفد العربي والمسؤولين الفرس وتسهيلاً للقارىء الذي قد لا يجد ذكراً لحرب القادسية إلا في بطون الكتب القديمة الثمينة والنادرة فحين قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح العراق ودعوة الفرس فيه إلى الدين الاسلامي او دفع الجزية او الحرب . رغب في ان يسير بنفسه إلى العراق على رأس جيش المسلمين وحين استشار وجوه اصحاب رسول الله (صلعم) واهل الرأي منهم اشاروا عليه ان يجعل على رأس جيش المسلمين من يختاره لهذه المهمة وبعد المشورة اختار (سعد بن مالك) ، فسار سعد ونزل بالقادسية وكان

معه ما يزيد على ثلاثين الفاً من المسلمين المحاربين ، ولما ابى ملك الفرس إلاّ القتال اضطر المسلمون إلى مقاتلته فكانت الايام الأربعة المشهورة في التاريخ .

اليوم الأول من حرب القادسية

المسمى

يوم ارماث

وحين شعر الفرس ان العرب مصممون على محاربتهم استعدوا استعداداً هائلاً وهيأوا جنودهم وافيالهم وعبروا نهر العتيق وجلس قائدهم العام رستم على سريره تحت خيمته وعبأ في قلب جيشه ثمانية عشر فيلاً عليها صناديق من الخشب فيها جنود من احسن جنوده واكثرهم حماسة لمقاتلة العرب المسلمين كما عبأ في المجنبتين ثمانية فيلة وأقام القائد جالينوس بينه وبين ميمنته والقائد الفيرزان بينه وبين ميسرته وكان امبراطور الفرس (يزدجرد) قد وضع بينه وبين رستم صفا من الرجال بمثابة البريد السريع ينقل الواحد منهم إلى الآخر ما يقوله القائد رستم او يفعله ليصل خبر ذلك اليه على الفور وبدون اضاعة وقت . وأخذ المسلمون مصافهم . وكان بسعد آنذاك دمامل وخراريج وعرق النسا فكان لا يستطيع الجلوس وانما اكب على وجهه وتحت صدره وسادة فوق سطح القصر يشرف على الناس فعابه بعضهم فاعتذر اليهم واراهم ما به فعذروه . ولما عجز عن الركوب استخلف (خالد بن عرفطه) على الناس فلم يرتح له بعضهم ومنهم ابو محجن فحبسه

في القصر ولكن سعداً اعلمهم انه قد استخلف خالداً فسمعوا واطاعوا ، وخطب الناس يوم الاثنين من المحرم سنة اربع عشرة بعد الهجرة وحثهم على الجهاد وذكرهم بما وعدهم به الله من فتح ونصر . ثم ارسل سعد نفراً من ذوي الرأي والنجدة منهم : المغيرة وحذيفة وعاصم وطليحة وقيس الاسدي وغالب ، وعمر بن معدي كرب ومن الشعراء : الشماخ والحطيئة واوس بن مغراء وعبيدة بن الطبيب وغيرهم وامرهم بتحريض الناس على القتال .

وكان صف المشركين على نهر العتيق ، وصف المسلمين مع حائط قصر سعد والخندق ، فأمر سعد الناس بقراءة سورة (الانفال) وهي سورة الجهاد فسادتهم السكينة لدى قراءتها وقال لهم سعد ان الزموا مواقفكم حتى تصلّوا الظهر ، وبعدها فاني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم ، واذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم فاذا كبرت الرابعة فازحفوا وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله . فلما كبر سعد الثالثة برز أهل النجدات وانشبوا القتال ، وخرج اليهم الفرس امثالهم وباشروا الطعن والضرب ، وقال غالب بن عبد الله الاسدي :

قد علمت واردة المشائـــح	ذات اللبان والبيـــان الواضح
اني سمام البطــل المسالــــح	وخارج الامر المهم الفــادح

وقد وقع (هرمز) وهو من ملوك الباب وكان متوجاً اسيراً في يد غالب بن عبد الله الاسدي وجاء به سعداً ورجع إلى ساحة المعركة ثم خرج عاصم وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب	مثل اللجين قد تغشاه الذهب
اني امرؤ لا من يعيبه السبـــب	مثلي على مثلك يغربه العتـــب

فطارد فارسياً فانهزم ، فاتبعه عاصم حتى احتمى بصف الفرس ، فأخذ عاصم رجلاً على بغل وعاد به ، واذا هو خباز الملك معه من طعام الملك ، فأتى به سعداً . وخرج فارسي يطلب البراز ، فبرز اليه عمرو بن معدي كرب ، وجلد به الارض وذبحه فساق الفرس الفيلة على العرب المسلمين فغرقت بين الكتائب ونفرت خيل قبيلة بجيلة) وكادت تهلك . وارسل سعد إلى بني اسد ان دافعوا عن بجيلة ، فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مالك في كتائبهما فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها . وخرج عظيم منهم إلى طليحة فقتله طليحة ، وقام الاشعث بن قيس في كنده فقال :

يا معشر كنده لله در بني اسد أي بلاء أبلت فاحسنوا اسوة قومكم من العرب فهب وهبوا معه ، فازالوا الذين بازائهم . فلما رأى الفرس ما يلقى الناس والفيلة من أسد حملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد . فاجتمعت حلبة فارس على اسد ومعهم الفيلة فثبتوا لها وكبر سعد الرابعة وزحف المسلمون ورحى الحرب تدور على اسد وحملت الفيلة على الميمنة والميسرة وكانت الخيول تحيد عنها .

فارسل سعد إلى عاصم بن عمرو التميمي فقال : يا معشر بني تميم . اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ قالوا بلى والله : ثم نادى في رجال من رماة قومه وآخرين لهم في الرماية اصابة ونادى يا معشر الرماة ارموا ركبان الفيلة بالنبل ويا اهل الثقافة استديروا الفيلة فقطعوا وضنها فحمي الوطيس فلم يبق للفرس فيل إلا ولى وقتل اصحابها ونفس عن اسد ، واقتتلوا حتى غربت الشمس وحين ذهبت هدأة من الليل رجع هؤلاء وهؤلاء واصيب من اسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردءاً للناس ، وعاصم حاميتهم وهذا هو اليوم الاول وقد سمي يوم ارماث .

المعركة الثانية

ذكرى يوم اغواث

اليوم الثاني

وفي صبيحة اليوم الاول بعد (ارماث) امر سعد النساء بمعالجة الجرحى وقام الرجال بدفن القتلى على وادي مشرق بين العذيب وعين الشمس .

وبينما هم كذلك فاذا بجيش المسلمين ينجدهم بعد ان تم فتح الشام وعليه هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي وقد وصل القعقاع القادسية صبيحة هذا اليوم وهو يوم اغواث وامر اصحابه ان يتقطعوا اعشاراً وكانوا الفاً فكلما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا عشرة واتى المسلمين وبشرهم بالجنود وحرضهم على القتال : وطلب البراز فقالوا فيه ما قاله ابو بكر لا يهزم جيش فيهم مثل هذا . فخرج اليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع ونادى بالثارات ابي عبيد وسليط واصحاب الجسر فتضاربا فقتله القعقاع ففرح المسلمون ونسوا معيبتهم يوم ارماث وانكسرت الاعاجم بذلك .

وطلب القعقاع البراز فخرج اليه (الفيرزان) و (البنذوان) فانضم إلى القعقاع الحارث ظبيان بن الحارث احد بني تيم الملات فقتل القعقاع الفيرزان وقتل الحارث البنذوان ونادى القعقاع المسلمين ان باشروا الأعداء بالسيوف فانما يحصد الناس بها فهجم المسلمون واقتتلوا حتّى المساء ، ولم ير الفرس اسوأ من (يوم اغواث) حيث اكثر فيهم المسلمون القتل ولم يستعمل الفرس افيالهم اذ تكسرت توابيتها بالامس وكلما حمل القعقاع كبّر فيكبّر المسلمون ويحملون ، وحمل بنو عم القعقاع عشرة عشرة على ابل مجللة مبرقعة واحاطت بهم خيولهم تحميهم ، وحملوا بها على خيل الفرس فصارت

تفر منها خيل الفرس وركبتها خيول المسلمين في هذا اليوم (يوم اغواث) لقي الفرس فيه من الابل اعظم مما لقي العرب من الفيلة (يوم ارماث) .

وحمل رجل من تميم على رستم ليقتله فقتل دونه ، وبرز رجل من فارس فبرز اليه الاعرف بن الاعلم العقيلي فقتله ، ثم برز اليه آخر فقتله . وحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة اصاب فيها وقتل ، فكان آخرهم بزرجمهر الهمذاني . وبارز الاعور بن قطبة شهريار سجستان فقتل كل منها الآخر . فلما اعتدل النهار تزاحف الناس فاقتتلوا حتّى انتصف الليل فكانت ليلة ارماث تدعى الهدأة وليلة اغواث تدعى السواد ، ولم يزل المسلمون يرون في يوم اغواث الظفر . ولما اشتد القتال وكان ابو محجن محبوساً في القصر فقال لسلمى زوج سعد : هل لك ان تخلي عني وتعيريني البلقاء ؟ (فرس سعد) فلك علي ان سلّمني الله ان ارجع اليك حتّى اضع رجلي في قيدي . فأبت . فقال :

كفى حزَنَا ان تُرْتدى الخيل بالقنا — واترك مشدوداً عليَّ وثاقيا
اذا قمت عنّاني الحديد وأُغلقت — مصاريعُ دوني قد تصمّ المناديا
وقد كنت ذا مال كثيرٍ واخوةٍ — فقد تركوني واحداً لا اخاً ليا
ولله عهد لا أخيسُ بعهدِهِ — لئن فرجت ان لا ازور الحوانيا

فرقت له سلمى واطلقته واعطته البلقاء فرس سعد فركبها وكبّر وحمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنتهم وفتك بالفرس فتكاً تعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ، فقال بعضهم هو من اصحاب هاشم او هو هاشم ، وكان سعد يقول لولا محبس ابي محجن لقلت هذا ابو محجن وهذه البلقاء . وقال بعض الناس هذا الخضر . وقال بعضهم لولا ان الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا انه ملك . فلما انتصف الليل وتراجع الفرس والمسلمون عن القتال ، اقبل ابو محجن فدخل القصر وأعاد رجليه في القيد وقال : —

لقد علمت ثقيف بغير فخر | بأنّا نحن اكرمهم سيوفا
واكثرهم دروعاً سابغاتٍ | واصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وانّا وفدُهم في كل يومٍ | فان عمّوا فسل بِهِم عريفا
وليلة قادسٍ لم يشعروا بي | ولم أشعر بمخرجي الزحوفا
فان احبس فذلكمُ بلائي | وان أترك أذ يقهم الحتوفا

فقالت له سلمى في اي شيء حبسك ؟ فقال والله ما حبسني بحرام اكلته ولا شربته ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدبُّ الشعر على لساني فقلت :

اذا مت فادفني إلى اصل كرمة | تروّي عظامي بعد موتي عروقُها
ولا تدفنّني بالفلاة فانني | اخاف اذا ما متُّ أن لا اذوقُها

فلذلك حبسني ، وفي الصباح اتت سلمى سعداً فصالحته ، وكانت مغاضبة له واخبرته بخبر ابي محجن . فأطلقه فقال : اذهب فما انا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله فقال ابو محجن : لا جَرَمَ والله لا اجيب لساني إلى صفة قبيح ابداً .

ذكرى يوم عمّاس

اليوم الثالث

وفي صباح اليوم الثالث قام المسلمون بنقل قتلاهم إلى القبور التي حفرها الصبيان والنساء ونقلوا الجرحى لتداويهم النساء وكانوا الفين بين قتيل وجريح اما خسارة المشركين من قتلى وجرحى فعشرة آلاف ، ولم ينقل المشركون قتلاهم حيث بقوا بين الصفين مما قوى معنوية المسلمين ، وكان القعقاع قد أوصى جنده أن يقدموا إلى المعركة في الصباح مائة مائة ، وحين اقبل اصحاب القعقاع كبّر وكبّر المسلمون واختلفوا الضرب والطعن، فما جاء آخر اصحاب القعقاع حتى لحق بهم هاشم وعبأ اصحابه سبعين سبعين. وكان فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المعروف بقيس بن المكشوح المرادي ، وكان باليرموك فانتدب مع هاشم لنجدة المسلمين في القادسية فكبّر المرادي وكبّر المسلمون ، ونادى المطاردة اولاً ثم المراماة وحمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفوفهم إلى نهر العتيق ، وكان المشركون قد اعدوا افيالهم وتوابيتها ومعها الرجّالة يحمونها ان تقطع وضنها[1] ومع الرجالة فرسان يحمونهم وكان هذا اليوم (يوم عماس) من اوله إلى آخره حامي الوطيس ، العرب والعجم فيه سواء وكان يزدجرد يعزز نقاط الضعف في جنده بالنجدات حيث قاتل القعقاع وقيس والمسلمون قتالاً شديداً وقال عمرو بن معدي كرب اني حامل على الفيل ومن حوله ، فاتبعوني وصار يضرب في المشركين حتى اصيب فرسه . فامسك برجل فرس اعجمي فلم يطق الجري فترك الاعجمي فرسه فركبه عمرو . ولما رأى سعد تأثير

---

(١) وضنها : خراطيمها .

الفيلة في المعركة ارسل إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو أن اكفياني الفيل الابيض ، وقال لحمال والربيل ، اكفياني الفيل الاجرب ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين وتقدما في خيل إلى المعركة ووضعا رمحيهما في عين الفيل الابيض فنفض رأسه وطرح سائسه ودلّى مشفره فضربه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقتل المسلمون من كان عليه من الفرس ، وحَمَلَ حمّال والربيل الأسد على الفيـــل الآخر فطعنه حمّال في عينه فأقعى ثم استوى وضربه الربيل فابان مشفره وبصر به سائسه فبقر أنفه وجبينه بالطبرزين [1] وافلت الربيل جريحاً وبقي الفيل الاجرب متحيراً بين الصفين كلما اتجه لصف نخسهُ فألقى بنفسه في نهر العتيق فاتبعته الفيلة حيث خرقت صف الاعاجم وعبرت إلى المدائن في صناديقها وهلك من فيها . فلما ذهبت الفيلة تزاحف المسلمون واشتد القتال حتى امسوا وهم على السواء ، وهكذا كان يوم (اغواث) .

(١) الطبرزين : الفأس أو القدّوم .

ذكرى ليلة الهرير وقتل رستم

اليوم الرابع

لم تكن حرب الايام الثلاثة الماضية (ارماث واغواث وعمّاس) حاسمة النتائج وان قتل فيها من المشركين بالآلاف . لذا فقد استعد المسلمون لحسم الموقف ليلة الهرير في القادسية التي سميت بذلك لتركهم الكلام انما كانوا يهرون هريراً ورأى سعد ان يرسل طليحة وعمراً ليلة الهرير إلى مخاضة[1] ماء اسفل المعسكر خشية ان يأتيه القوم منها فلما وصلاها قال طليحة : لو خضنا واتينا الاعاجم من خلفهم . وقال عمرو بل نعبر اسفل فافترقا وأخذ طليحة وراء العسكر وكبر ثلاثاً وذهب فارتاع الفرس وتعجب المسلمون ، وطلبه الاعاجم فلم يدركوه . وأما عمرو فانه أغار اسفل المخاضة ورجع ، وخرج مسعود بن مالك الاسدي وعاصم بن عمرو وابن ذي البردين الهلالي وقيس بن هبيرة واشباههم فطاردوا الفرس فاذا هم يريدون الزحف ، فزاحفهم المسلمون بغير إذن سعد وأول من زاحفهم القعقاع وقال سعد : اللّهم اغفرها له وانصره فقد اذنت له ان لم يستأذني . ثم قال ارى الأمر ما فيه هذا . فاذا كبرت ثلاثاً فاحملوا ، وكبّر واحدة فلحقهم اسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم. ثم حملت قبيلة النخع ، ثم قبيلة جبيلة ، ثم كندة ، ثم زحف الرؤساء والحرب تدور على القعقاع ، وتقدم حنظلة بن الربيع ، وطليحة ، وغالب ، وحمّال ، وأهل النجدات . وحين كبّر الثالثة لحق المسلمون بعضهم بعضاً والتحموا بالفرس يقاتلونهم

(١) المخاضة : هور ، أو مستنقع من الماء سطحي غير عميق .

بعدما صلّوا العشاء وانقطعت الاخبار عن سعد ، وعند الصبح سمع سعد المسلمين يرتجزون الأراجيز ومنهم صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول :

نحن قتلنا معشراً وزائـــدا اربعة وخمســة وواحـــدا
نحسب فوق اللّبد الاســاودا حتّى اذا ماتوا دعوت جاهدا

الله ربي واحترزت عامــدا

فايقن سعد ان المسلمين هم الاعلون . وهكذا اصبحت ليلة الهرير وتسمى ليلة القادسية بين تلك الليالي — والقوم لم تغمض لهم عين . فسار القعقاع فيهم وقال :

ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة واحملوا فان النصر مع الصبر فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا (لرستم) وقاتلوا الذين دونه مع الصبح فلما رأت القبائل ذلك هجمت مع رؤسائها وقاتلوا الفرس بعنف حتّى الظهيرة فكان أول من زال الفيرزان والهرمزان . وكان ان هبت ريح عاصف فقلعت مظلة رستم عن سريره والقتها في نهر العتيق . واتى القعقاع ومن معه إلى سرير رستم وكان رستم قد تركه واختبأ تحت ظل احد البغال التي قدمت اليه تحمل اموالاً ، فضرب هلال بن علقمــة حمل البغل فوقع على رستم ، فلما شعر به هلال أهوى عليه بضربة ، وفرّ رستم والقى بنفسه في نهر العتيق ، فتبعه هلال وامسك برجليه وجره وقتله ونادى قتلت رستم ورب الكعبة ، فارتبك الفرس وانهزم قلب جيشهم ونادى الجالينوس جنده ان اعبروا العتيق وراح المسلمون من خلفهم يوخزونهم بالرماح ويضربونهم بالسيوف فلم ينج منهم احد وكانوا ثلاثين الفاً . وأخذ ضرار بن الخطاب (درفش كابيان)[1] وهو علم الفرس الأكبر ففقد

(١) درفش كابيان : أكبر علَم من أعلام الفرس وأشهرها وأهمها .

العدو معنوياته وسادته الفوضى ولحق المسلمون بالفرس المنهزمين وقتل زهرة بن الحوية (الجالينوس) وتعقب سلمان بن ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن ربيعة ومن معهم جماعة من الفرس قالوا لا نبرح حتى نموت وقضوا عليهم جميعاً ، وتبع جماعة من رؤساء المسلمين بعض كتائب الفرس التي لم تلذ بالفرار وقتلوا من بقي منهم ونجا من هرب من الفرس ومنهم (الهرمزان) وكف المسلمون عن مطاردة الفارين من الفرس وتعقيب فلولهم . حيث لم يبق لجيش العدو كيان بعد ان فتك المسلمون به وقتلوا منه الآلاف كما قتلوا رستم واخذوا علَمَهُ وبذلك تمزق جيش المشركين شر ممزق ، واعلى الله كلمة المسلمين الذين كانوا يقاتلون بصدق وايمان عن دينهم وعقيدتهم وهكذا ارتفعت راية الاسلام عالية منتصرة على الفرس المشركين في القادسية .

وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبالانتصار وبعدد القتلى والجرحى ، وكان الخليفة عمر (رض) يتطلع بلهفة إلى أخبار القادسية ويسأل الركبان ، وقيل انه حين لقي البشير سأله من أين فأخبره والبشير على ناقته لا يعرف الخليفة فقال اريد عمر (رض) قال يا عبد الله حدثني ، قال هزم الله المشركين . وعمر يخب معه حتى دخل المدينة ، واذا الناس يسلمون عليه بأمير المؤمنين ، فقال البشير هلا اخبرتني – رحمك الله – انك امير المؤمنين ، فقال عمر لا بأس عليك يا اخي .

وكانت وقعة القادسية سنة اربع عشرة هجرية .

تاريخ حياة الدكتور عبدالمجيد القصاب

ولد في ٢٣ تشرين الأول عام ١٩٠٧ في دار جده لأبيه محمد العبد اللطيف في محلة سوق حمادة بجانب الكرخ في بغداد من أبوين عثمانيين جنسية ،فأبوه عبد العزيز القصاب الذي كان وزيراً لعدة وزارات على عهد الملك فيصل الأول في الوزارات التي ألفها عبد المحسن السعدون وناجي السويد وجميل المدفعي . ثم انتخب نائباً عن بغداد ورئيساً لمجلس النواب عدّة مرات واستقال من آخر رئاسة للمجلس عام ١٩٤٨ احتجاجاً على معاهدة بورت سموث لعدم استشارته بشأن عقدها ثم على ضرب المتظاهرين ضدها بالرصاص . وأمّه نوريةالشيخ سليمان (الجبوري) خطيب السلطان عبد الحميد في جامع أيا صوفيا باستنبول وهي من زوجته التركمانية مريم خانم خليل بك آل كمال زادة من كويسنجق .

وفي عام ١٩١٢ بدأ عبد المجيد دراسة القرآن والخط والحساب في كتّاب الصويرة وبغداد .

وفي عام ١٩١٤ درس الصفوف الأولية في مدرسة السماوة الابتدائية .

وفي عام ١٩١٧ درس الصفوف الأولية في مدرسة (النمّونه) التركية في الكريمات بجانب الكرخ . وكان أبوه قد خلّفه بعهدة أعمامه عندما كان يتقلب في الوظائف الادارية ويجاهد في صفوف المجاهدين في الحرب العامة الأولى في جبهات السماوة والهندية والمسيب وعنُه ثم انسحب أبوه مع الأتراك إلى عقرة والزيبار .

وفي عام ١٩١٩ دخل مدرسة الكرخ الابتدائية وعندما نشبت ثورة العشرين كان يُلقّن القصائد الحماسية ليقرأها في اجتماعات جامع الشيخ صندل .

وفي عام ١٩٢٢ أنهى دراسته الابتدائية ودخل ثانوية بغداد المركزية وكانت الثانوية الوحيدة في ذلك الحين .

وفي عام ١٩٢٣ انتقل منها إلى ثانوية الموصل عندما عين والده متصرفاً لها أثناء مطالبة الأتراك بها فكان عبد المجيد يقود المظاهرات المؤيدة لعروبة اللـــواء .

وفي عام ١٩٢٥ – ١٩٢٦ دخل امتحان البكلوريا الأول الذي جرى في الثانوية المركزية ببغداد للصفين الرابع من مدرسة بغداد ومدرسة الموصل ولم يكن في القطر غيرهما من المدارس الثانوية الكاملة ولم يكن مجموع عدد طلابهما الممتحنين يتجاوز الثلاثين طالباً .

وفي عام ١٩٢٦ بدأ دراسة الطب واللغة الافرنسية في المعهد الطبي العربي في الجامعة السورية وذلك قبل أن تفتتح كلية الطب ببغداد .

وفي عام ١٩٣٠ انتقل بشهادة التعادل إلى اكمال الدراسة الطبية في جامعة مونبليه (بفرنسا) بعد أن أنهى الصف التحضيري وثلاثة صفوف من دراسة الطب بدرجة جيد جداً بالشام .

وفي عام ١٩٣٢ كان قد أنهى دراسة السنة الرابعة الطبية وهي من أصعب السنين في الجامعة وبدأ يشتغل بالسياسة العربية العامة باتصالاته برجال العرب في أوروبا وخاصة بالمرحوم الأمير شكيب أرسلان الذي كان يصدّر مجلة الأمة العربية (لاناسيون آراب) في جنيف وألّف جمعية الطلاب العرب لأول مرة في تلك الجامعة وانتخب رئيساً لها من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٣٤ حيث أنهى دراسته فيها بدرجة الشرف وقبلت أطروحته في مسابقة الأطروحات التي تجري عادة بين جامعات العالم لأحسن الأطروحات فقط .

وفي عام ١٩٣٤ رجع إلى البلاد وتعين لأول مرة طبيباً للأمراض الداخلية في العيادة الخارجية للمستشفى الملكي . وطبيباً للردهات الأولى من ردهات الرجال . وللردهة التاسعة من ردهات النساء في مستشفى كلية الطب ببغداد .

وفي عام ١٩٣٥ كان من بين مؤسسي نادي المثنى بن حارثة الشيباني . وأوفده النادي إلى دمشق لتمثيله في حفلات تأبين المرحوم الأستاذ عبد الرزاق الدندشي رئيس عصبة العمل القومي . وقد طرد على أثرها من البلاد الافرنسية والمشمولة بالانتداب الافرنسي بموجب قرار المفوض السامي الافرنسي برقم ٩١٧ أ وتاريخ ٢٧ أيلول ١٩٣٥ وذلك بسبب القائه خطباً حماسية في المظاهرات التي أعقبت حفلات تأبين الدندشي وفي نفس السنة عُيّن أستاذاً لعلم الصحة في كلية الصيدلة وأستاذاً للجراثيم في مدرسة الموظفين الصحيين ومدرستي القابلات والممرضات .

وفي عام ١٩٣٦ عين وكيلاً لمدير مستشفى العزل للأمراض السارية في جانب الكرخ (مستشفى الكرامة حالياً) .

وفي عام ١٩٣٨ عين مساعداً لمدير المستشفى الملكي التعليمي ومساعد أستاذ في كلية الطب .

وفي عام ١٩٣٩ أوفد إلى مصر للاطلاع على الأساليب العملية لمكافحة الأمراض المتوطنة فاشتغل في المعهد الخاص بهذه الأمراض (معهد الأبحاث) تحت اشراف الدكتور خليل عبد الخالق مع الدكاترة صلاح وعبد العظيم ومَدْور وبطّاش والحلواني وأرسل تقارير مسهبة في الموضوع إلى مديرة الصحة العراقية .

وفي عام ١٩٤٠ انتخب مساعداً لعميد كلية الطب . ومديراً لمدرسة الموظفين الصحيين . ومعاوناً للدكتور أحمد الحلواني في تأسيس دورات

اختصاص الأمراض المتوطنة في كلية الطب والمستشفى الملكي ومديراً لمكافحة الملاريا في المنطقة الوسطى .

وانتخب عضواً في عدد من اللجان الادارية والفنية في مديرية الصحة ووازرة الداخلية . وإلى هذه السنة لم يعرف عنه انه اشتغل مباشرة بالسياسة الداخلية بصرف النظر عما عرف عنه في اشتغاله بالسياسة العربية القومية إلى جانب نادي المثنى في بغداد وعصبة العمل القومي والكتلة الوطنية والحزب الوطني في الشام وحزب النداء القومي في لبنان منذ ١٩٤٠ وحزب الاستقلال في العراق وما كان يلقيه من خطب حماسية في هذه المواضيع من منبر نادي المثنى ومن دار الاذاعة وما تنشره له الصحافة العراقية من مقالات قومية واجتماعية وصحية كثيرة واشتغاله في قضية فلسطين مع سماحة مفتي فلسطين المرحوم أمين أفندي الحسيني واشتغاله قبل ذلك مع القائدين المجاهدين عبد الرحيم و (أبي درّه) بصحبة زملائه من عصبة العمل القومي أحمد الشراباتي و (أبو الهدى) اليافي وعبد الكريم العائدي وشفيق سليمان والدكتور صبحي أبوغنيمة ويوسف الشرفاء ولكن حرب العراق مع الانكليز في مايس ١٩٤١ المسماة بحرب رشيد عالي اضطرته للاشتغال بالسياسة الداخلية في تأسيس كتائب الشباب مع المرحوم درويش المقدادي عن قطّاع المتطوعين فيها من طلاب الطب والصيدلة والموظفين الصحيين كمسؤول عنهم بصفته مساعد عميد كلية الطب وكذلك إلى جانب المرحوم يونس السبعاوي واكرم زعيتر وواصف كمال وسليم النعيمي واسماعيل الغانم وعبد الرزاق شبيب . وقد عثر الانكليز على مراسلاته معه في درج مكتبة السبعاوي بعد هجرته إلى ايران فلم ينقذ الدكتور عبد المجيد من شر انتقامهم سوى وساطة احمد باشا الراوي ووالد الدكتور وتكفّله بعدم اشتغاله بالسياسة المحلية والاكتفاء بقبول استقالته من الوظيفة ومن عضويته في الأندية الاجتماعية والجمعيات بعد حلهم لنادي المثنى واقتصار نطاق عمله على عيادته الطبية ..

وفي عام ١٩٤٣ استدعي لدورة ضباط الاحتياط وتخرج منها عام ١٩٤٤ حائزاً على كأس الفروسية والاولوية على زملائه في الدورة وجلهم من تلاميذه وانتخب عضواً في مجلس انضباط وزارة الداخلية .

وفي عام ١٩٤٥ تطوع لنجدة دمشق عندما ضربها الافرنسيون بالمدافع من منطقة المزة وجبل قاسيون في شدة الخطر واحتدام القتال الذي اودى بحياة الكثيرين من اقرانه وزملائه خاصة صديقه الحميم الشهيد الدكتور مُسَلَّم البارودي .

وفي ١٩٤٧ بدأ اشتغاله بالسياسة الداخلية الفعلية حتى عام ١٩٥٨ وذلك بانتخابه نائباً في البرلمان عن المنطقة الاولى والسابعة والعاشرة من بغداد ثم صار وزيراً ثلاث مرات . واول نيابته كانت عن الاعظمية التي شغرت بعد انسحاب حزب الاستقلال من المجلس ومقاطعته لانتخابات المرحوم صالح جبر بمساعدة الحزب له على النجاح في تلك المنطقة التي كانت تعتبر مقفلة لحزب الاستقلال وعندما رجع الحزب إلى المجلس تخلّى عنها الدكتور عبد المجيد ورشح نفسه عن المنطقة السابعة في الكرخ لدورتين متعاقبتين ثم رشح نفسه من المنطقة العاشرة (الكرادة الشرقية) في آخر دورة من دورات المجلس النيابي وكان معارضاً مستقلاً سلبياً في المجلس ثم بعد ان استوزر ثلاث مرات صارت معارضته ايجابية معتدلة هادفة ناصحة .

وفي عام ١٩٤٧ بدأ خطبه السياسية قبل أن يدخل المجلس بخطاب سياسي في النادي الاولمبي مؤيداً لاستقلال الباكستان ومباركاً انفصالها عن الهند وعند افتتاح المجلس هاجم وزارة صالح جبر هجوماً عنيفاً بخطاب طويل ناقداً لسياستها الداخلية والخارجية والمعاهدة البريطانية ولمعسكرات الانكليز في الشعيبة وسن الذبان والحبانية مطالباً بجلاء الجيوش البريطانية عنها . وقدّم طلبين إلى وزارة الدفاع لقبوله متطوعاً للقتال في فلسطين .

وفي ١٩٤٨ قاد مظاهرات الجسر وبيت حكاك والطب العدلي ضد معاهدة بورت سموث .

وفي ١٩٥٢ استوزر كاول طبيب وزيراً للصحة من اجل ان يبذل كل امكانياته ضد انتقام الحكومة من المعارضين الذين اتهمتهم بتحريض الفوضويين

على ارتكاب اعمال التخريب والقتل والحرق والسحل وقد نجح في ذلك بمساعدة باقي زملائه .

وفي ١٩٥٣ عين وزيراً للمعارف وفي ١٩٥٤ عين وزيراً للصحة مرة ثانية .

اما اعماله في وزارة الصحة على قصر المدة فلا يزال يذكرها الناس بالثناء من حيث شدة مراقبته المستمرة للمستشفيات والمستوصفات وتعديله لقوانين الوزارة وانظمتها وتعليماتها التي لم ينلها تعديل منذ عهد الاحتلال البريطاني للبلاد ونقلها تلك القوانين والانظمة من الهند وهو اول من وزع اعمال الوزارة على مديرين عامين للطب العلاجي والطب الوقائي والاتصالات الخارجية والتفتيش والمذاخر والادارة . وعدّل أنظمة كلية الطب والصيدلة والمدارس الصحية الأخرى وفتح دورات للمضمدين والممرضات ومفتشي الصحة ودورات لتجديد معلومات الموظفين في ديوان الوزارة والدوائر التابعة لها وعدّل أنظمة مديريات صحة العاصمة والمدن وأنظمة الوقاية والمحلات المضرة بالصحة والأمراض السارية وخفف من مقاييس فحص النظر للموظفين والطلاب والمستخدمين وكل ذلك بعد استشارة ذوي الاختصاص في مؤتمرات علنية كان يعقدها لهذا الغرض . ومما يذكر له بالخير هو تأسيسه لكلية طب الأسنان بعد تغلّبه على المعارضة الشديدة التي جوبه بها من قبل المسؤولين السياسيين والاداريين والفنيين بحجة عدم توفر الامكانيات ولم يقف إلى جانبه سوى الأساتذة العراقيين والأجانب الذين يعرفون كيف تتألف الكليات في البدء ثم كيف تنمو وتتوسع لتجاري أخواتها الكليات الأقدم منها .

وهو الواضع لنظام الخفارات الأهلية للأطباء ومؤسس دورات الاختصاص والذي وضع الأنظمة والتعليمات لنقلهم بين الأقضية والألوية والعاصمة . ومؤسس نظام زيارات الأطباء الاختصاصيين للأرياف المجاورة للمدن وسحب سيارات الوزارة من الوزير والمديرين العامين وجعلها في خدمتهم وأول من

اعتمد نظام أفضلية درجات الامتحان في توزيع الأطباء المتخرجين الجدد على العاصمة والمدن الأخرى كلاً حسب درجاته وحسب اللواء الذي قبل عنه في كلية الطب فقضى بذلك على المحسوبية والمنسوبية في التعيينات وملأ (٣٥) شاغراً في الأقضية وأول من راقب سلوك الأطباء ودوامهم ومعاملاتهم للمرضى فعاقب عدداً من المسيئين وأعلن أسماءهم في الصحف وأذاعها في المذياع وكافأ المحسنين منهم وأعلن أسماءهم على الملأ كذلك . وفي اضبارته عدة رسائل شكر من الجمعية الطبية ونادي الأطباء ونقابتهم على مواقفه ومساعداته لهم خارج المجلس النيابي وداخله وهو الذي شجع القيام بتأسيس النقابة وساهم في وضع قانونها وصادق عليه في وزارته وساعد كثيراً من الأطباء على السفر إلى أوروبا وأميركا للاختصاص .

أما في وزارة المعارف ١٩٥٣ فقد اشترط لقبولها شرطين أساسيين وهما تأسيس الجامعة العراقية وارجاع جميع المفصولين من الطلاب والمعلمين وايقاف تعقيبات المحالين منهم على المحاكم وقد حقق الشرط الثاني في الشهر الاول . أما الشرط الأول فقد جابه من أجله مقاومة عنيفة من قبل رجال السياسة ووزراء ورؤساء وزارات بحجة قلة الامكانيات الفنية والعلمية والأبنية والمختبرات وخوفاً من ازدياد نشاط الطلاب السياسي عند تجمعهم تحت لواء الجامعة ولكنه تمكن بصبره وجلده وبمساعدة الدكتور فاضل الجمالي ورؤساء جامعات القاهرة وبيروت ودمشق على سن قانون جامعة بغداد وتقديمه لمجلس الأمة عام ١٩٥٣ ومصادقة لجنة المعارف عليه . وعدل نظام وزارة المعارف بأن قسم أعمالها بين ستة مديرين عامين بدل المدير الواحد (كما عمل في وزارة الصحة تماماً) فعين مديراً عاماً لكل من الادارة والأمور الفنية والتعليم العالي والتعليم الثانوي والتعليم الابتدائي ومديراً للتعليم المهني والفني وللبعثات وتعادل الشهادات ووسع الأقسام الداخلية لقبول جميع الطلاب الوافدين من الخارج وأجّر لهم بيوتاً لإيوائهم . وأولى التعليم المهني عناية خاصة فعادل شهادة ثانوية الصناعة

بالشهادة الاعدادية وزوّدها بكل ما تحتاجه من المكائن الفنية الحديثة ومنح رعايته للتربية البدنية وأسس لها مديرية خاصة ملحقة بالوزير رأساً وقضى على نظام بيت الحكمة وناط ادارة كليات الطب والصيدلة وطب الأسنان التي كانت مرتبطة به بالجامعة رأساً وأول من أسس نظام الهويات للطلاب وحصل لهم على تخفيضات في المحلات العامة والنقل ووحد ألبسة الطلاب والطالبات وأول من أعفى الطلاب من الشهادات الصحية وحسن السلوك وعدم المحكومية وناط كل ذلك بادارة المدارس والكليات والادارات المتخصصة في الوزارة بأن أمر بتخصيص أضابير خاصة بالطلاب للصحة والسلوك والدرجات تنتقل معهم في كل مرحلة من المراحل الدراسية . وأول من استخدم طلاب الكليات الفقراء في تدريس الأميين في المدارس المسائية لقاء مخصصات معينة لمساعدتهم وفتح دورات تربوبية لخريجي الثانويات الذين لم تسمح لهم درجاتهم بدخول الكليات فاستعان بهم لسد شواغر التعليم الابتدائي وشجع سفر طلاب المدارس الابتدائية داخل القطر وطلاب الكليات للسفر إلى البلاد العربية وخفّف القيود على الطلاب في موضوع تأجيل الامتحانات من دورة إلى أخرى ووضع تعليمات نظام (الكورسات) موضع التنفيذ .

وحصل الدكتور عبد المجيد على وسام الرافدين من الدرجة الثانية مكافأة له على خدماته في المعارف والصحة وهو أعلى وسام يمكن الحصول عليه بعد وسام الرافدين من الدرجة الأولى الخاص برؤساء الوزارات .

وفي ١٩٥٧ أوفد من قبل الحكومة إلى تونس حاملاً رسالة شفوية إلى رئيسها حول الثورة الجزائرية وطرق مساعدتها ولحضور حفلات استقلالها الاولى مع زملائه عبد الغني الدلي وعبد الكريم كنّه وعز الدين الملا .

ودخل كلية الحقوق وهو في سن الخمسين للتزود بالمعلومات القانونية والسياسية فنجح في الدور الأول بامتياز بعد أن قدم ثلاثة بحوث كان الأول في نواقص الدستور العراقي والثاني في تاريخ الدبلوماسية والثالث في الاقتصاد الموجه في العراق . وفتح في عيادته معرضاً لوسائل الايضاح في علم الاقتصاد

فقوبلت أعماله بالتقدير من لدن الأساتذة .

وفي ١٩٥٨ أوقف في سجن بغداد المركزي مع من أوقف من رجال السياسة بعد قيام الثورة لمدة أربعة شهور .

وفي ١٩٥٩ حددت اقامته في داره لمدة سنة . ولم يقدم إلى محكمة(المهداوي) لعدم ثبوت ما يستوجب ذلك عليه .

وفي ١٩٦٠ أوقف ثانية في مديرية الأمن العامة بتهمة التحريض على حكم عبد الكريم قاسم ثم أطلق سراحه .

ولا يزال منذ ذلك الحين يزاول مهنته في عيادته طبيباً ناجحاً تغص عيادته بالمراجعين ويفيد الفقراء منه كثيراً . ويحتفظ بمكتبه بأربع أضابير ضخمة تحتوي على أسماء المرضى الذين يعالجون في عيادته مجاناً ، وباضبارة خامسة فيها وصولات مدفوعة أثمانها للصيدليات من كيسه الخاص .

والدكتور متزوج وله ستة أولاد ذكور من زوجته الأولى وولدان وابنة واحدة من زوجته الثانية . وأكمل فريضة الحج عام ١٩٧٣ .

وهو أديب بعد كل هذا وقد عرف بحبه للأدب والأدباء واتصالاتـه المستمرة بزعماء البلاد العربية وأدبائها وأطبائها وخاصة سورية ولبنان ومصر والمغرب وتونس .

له أبحاث كثيرة منشورة في الأدب والاجتماع والسياسة القومية والطب . ومن كتبه المطبوعة كتاب (الدفاع السلبي والغازات السامة والوقاية منها) الذي قدمه هدية إلى الهلال الأحمر وكتاب (رحلة إلى تونس عتبة السلام) الذي قدمه هدية إلى مدرسة أيتام بورقيبة التونسية ثم أطروحته في الافرنسية وهي عن العصب الرقبي الخلفي . أما كتبه وأبحاثه غير المطبوعة فهي كتاب (رحلة الربيع إلى العالم البديع) وكتاب (مائة يوم ويوم في الولايات المتحدة الأميركية) وبحث (عن الهيضة في العراق في القرن التاسع عشر) وبحث عن

(الاقتصاد الموجه في العراق في العهد الملكي) وبحث في (ملاحظات على القانون الأساسي) وبحث عن (أدباء الأطباء) وبحث عن (التطور الصحي في العراق) وغيرها التي ينتظر أن تنشر تباعاً وقريباً ان شاء الله .

المحتوى

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٧
المقدمة بقلم الأستاذ جعفر الخليلي	١٥
مختصر تاريخ حياة سيادة الأستاذ محمد الحبيب عباس	١٥
خطاب الدكتور القصاب في حفلة توديع الأستاذ محمد الحبيب عباس	١٩
قصيدة (الحبيب المنتقى) للأستاذ الشيخ جلال الحنفي	٢٥
قصيدة (حلو الشمائل) للأستاذ عبد الرزاق بستانة	٢٩
قصيدة (يا فتى تونس) للأستاذ طالب فليح	٣١
قصيدة (صدى الذكريات) للأستاذ عبد الأمير علوش	٣٣
خطاب الأستاذ عبد الرزاق الجزار	٣٧
قصيدة (يا زارع الزيتون) للأستاذ علي عبد الأمير الحيدري	٣٩
خطاب المحتفى به سيادة الأستاذ محمد الحبيب عباس سفير تونس	٤٣
لمحات تاريخية عن الدبلوماسية وحصانتها	٤٧
مصادر البحث	٤٩
تاريخ الدبلوماسية	٤٩
الوفود العربية وفود النعمان على كسرى أنو شروان	٥١
وفود حاجب بن زرارة على كسرى	٦٣

الموضوع	الصفحة
وفود أبي سفيان على كسرى	٦٤
وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر	٦٥
وفود قريش على سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشة	٦٦
الوفود الاسلامية : وفد سعد بن أبي وقاص على يزدجرد	٦٩
قائمة بأسماء أهم الوفود العربية والاسلامية وحصاناتها . . .	٧٢
التمثيل القنصلي	٧٥
الحصانات الدبلوماسية	٧٩
امتيازات الممثل الدبلوماسي وأعضاؤه من اقليمية التشريع الجنائي ومن الخضوع للقضاء المدني	٨٤
التزامات الدولة بحماية الممثلين الدبلوماسيين	٨٥
واجب الدولة الامتناع عن كل عمل يضرّ بالممثل الدبلوماسي	٨٦
واجب الدولة منع كل ضرر يحدثه الأفراد بالممثلين الدبلوماسيين	٨٨
واجب الدولة معاقبة الأفراد الذين يلحقون ضرراً بالممثلين الدبلوماسيين	٩١
واجب الهيئات الدبلوماسية أن تحتج بصورة جماعية على الحكومة المحلية فيما اذا أهين أحد أفراد الهيئة الدبلوماسية	٩٣
وجوب حماية مراكز السفارات والمفوضيات ودور سكنى الدبلوماسيين ومنع تهجم الصحافة على الدبلوماسيين . . .	٩٤
نطاق حماية الممثلين الدبلوماسيين	٩٥
واجب الممثلين الدبلوماسيين احترام نصائح الحكومة	٩٦
حماية الأموال المنقولة واختلاف الفقهاء في شمول الحصانة الدبلوماسية	٩٧

الموضوع	الصفحة
الحماية الدبلوماسية كما هي منظّمة بالقانون الدولى الأعضاء فى إقليمية القضاء الجنائى	٩٨
الأشخاص الذين يتمتعون بالحصانة	٩٩
القائمة الدبلوماسية وحصانة زوجات الممثلين الدبلوماسيين . .	١٠٠
حصانة أفراد عائلة الممثل الدبلوماسى	١٠١
حصانة الخدم	١٠٢
حصانة الأموال المنقولة وغير المنقولة	١٠٧
فيما يختص بالعقود وحوادث التزوير وحصانة ممثلى الملـوك المخلوعين	١١٦
حرب القادسية	١١٩
يوم ارماث اليوم الأول من حرب القادسية	١٢١
يوم اغواث : اليوم الثانى من أيام حرب القادسية	١٢٤
يوم عمّاس : اليوم الثالث من أيام حرب القادسية	١٢٧
ذكرى ليلة الهرير وقتل رستم ، اليوم الرابع من أيام حرب القادسية	١٢٩
تاريخ حياة المؤلف	١٣٣

ESSAIS ET HISTOIRE

DES

IMMUNITES DIPLOMATIQUES

Dr. El-Kassab Abdul Majeed

DOCTEUR EN MEDECINE

UNIVERSITE DE MONTPELLIER

هذا الكتاب

الدكتور القصاب
الوزير العربي القومي

هذا كتاب من مؤلفات معالي الدكتور عبد المجيد القصّاب احد وزراء الصحة ووزراء المعارف في العراق في العهد الملكي . درس في دمشق ومصر ومونبليه (فرنسا) قبل ان يصبح من أطباء بغداد المعروفين وينتخب عضواً في المجلس النيابي العراقي ووزيراً من وزراء العراق السابقين .

وهو من المشتغلين في القضايا القومية والساعين للوحدة العربية ومن مؤسسي نادي المثنى بن حارثة الشيباني في بغداد والمنتمين إلى عصبة العمل القومي في الشام وحزب النداء القومي في بيروت .

وله من المؤلفات في الافرنسية : كتاب العصب السمباتي الرقبي ومن مؤلفاته العربية المطبوعة كتاب (الغارات الجوية والغازات السامة والوقاية منها) اهداه إلى جمعية الهلال الاحمر العراقية . وكتاب (رحلة إلى تونس عتبة السلام) اهداه إلى مدرسة ايتام بورقيبة في تونس . وله من الكتب تحت الطبع (تاريخ الافكار الاقتصادية) ، و (التطور الصحي في العراق) و (أضواء على تاريخ تونس الخضراء) و (رحلة إلى اميركا) و (رحلة الربيع إلى العالم البديع) وابحاث طبية ستنشر قريباً كلها ان شاء الله .

الثمن : ١٠ ل. ل. او ما يعادلها